عبير غالب نادر

خفايا الرّوح

(رواية)

» اسم الكتاب: **خفايا الرّوح.**
» اسم المؤلفة: **عبير غالب نادر.**
» الترقيم الدولي: ISBN: **978-9933-567-66-8**
» الناشر: **دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.**
» سنة النشر: **2021.**
» لوحة الغلاف (تحليق) للفنان: **حسام أبو عاصي.**

طبعة مشتركة الحقوق بين المؤلف والناشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل
للنشر والدراسات والترجمة
هاتف: 00963115618956
00963115637060
aklpublishing@gmail.com

هذه الرواية من محض الخيال وأشخاصها غير حقيقيين، فإذا
تشابهت الأحداث أو الأسماء مع أشخاص تعرفونهم،
فسيكون ذلك عن غير قصد.

نحن فراغ لا يملؤنا إلّا الحب
نخن ظلام لا يضيئنا إلّا العشق
الرّوح التي تشبهك تعرف كيف تخاطبك بلا كلمات.

الموت ليس موتاً إنه انفصال الروح عن سجن الجسد

- 1 -

تسللت عليا من سريرها دون أن يشعر أبناؤها أو زوجها بذلك، ارتدت ثيابها في الحمّام كي لا توقظ أحد على صرير باب الخزانة العتيقة...

لن تشرب قهوتها أو تدخن سجائرها الثلاث مع أغنية فيروز (هونيك في شجرة ورا النبع الغميق)، مذ عرفت سام تغيّر شيء ما في قلبها، بل تغيّرت كلّ حياتها... وقد قررت اليوم أن تجلس مع نفسها وتصارح روحها بما اعتراها، ستحدّثها بصوتٍ عالٍ كما تشتهي.

تغادر عليا بيتها مبكّرة قبل أن يستيقظ زوجها ويسألها عن الطعام الذي عليها طهيه للغداء، وقبل أن تستيقظ ابنتها وتطلب منها تنجيم فنجانها...

هذه المرة لن تخبر أحد إلى أين هي ذاهبة ... لا أحد، لا سام ولا زوجها ولا ابنتها ولا أختها نسرين التي تقطن عندها لأنها تدرس في الجامعة قسم اللغة الإنكليزية... ستسير إلى غير هدى، وستترك روحها تختار زاوية ما على طاولة ما، وستطلب فنجانين من القهوة، واحداً لها والآخر لروحها رغم أنّهما ستنزلان في معدة واحدة...

ستسأل روحها عن سام... هل هي عاشقة؟ وستجيبها روحها نعم...

وهل يحقّ لها ذلك... وستجيبها نعم...

وهنا ستعاهد روحها على الاحتفاظ بالسرّ، هذا السرّ الكبير الذي هو عشقها لسام، عليها أن تحافظ على هذا السرّ كي تلقي القبض على حياتها قبل أن تتسرّب منها، فإذا تسرّب هذا السرّ يعني هو حكم بالإعدام، وقتل مدمر، كيف لا وهي العاشقة الولهانة والزوجة الخائبة.

هي ذاهبة بلا خوف أو تردد، بعد المقهى ستختار حديقة ما وتأخذ معها فطيرة من الجبن كي تطعمها للقطة التي ستأتي إليها باحثةً عن الطعام، ستطعم القطة وتحدثها عن سام، وستكون معها صريحة إلى أبعد حد، القطة ستستمع لحديث عليا ريثما تنهي طعامها، وبعدها ستنظر إليها نظرة امتنان وترحل...

بعد أن تعرّفت عليا على سام باتت عارية من كل شيء إلا منه... أحبّته بكلّ جوارحها، أحبّته بعدد خيبات الأمل التي عاشتها... بل عشقته دون أن تعرف تفسيراً لكلّ هذا العشق... وهل للأرض العطشى المتشققة أن تنكر توقها للمطر... تغلغل في خلاياها، باتت تتسلّل إلى صوره وتعشق تفاصيله، تبحث عن مبرّر لتتّصل به وتسمع صوته الذي أصبح يردّ لها الروح...

في حبّه هي عاريةٌ من أيّ دعمٍ معنوي لأنّها لا تستطيع أن تبوح لأحد عنه حتى له، عارية من الأهل والأصدقاء... تغار عليه حتى من حديثها عنه... لم تعرف من قبل أن البوح عن أسرار القلب هو ترف لا يشبه أي ترف آخر...

لا تريد أن تبوح عنه لأحد كي لا تخسره...

لا تريد أن تبوح عنه لأحد كي لا تموت من جديد...

لا تريد أن تضيّع طريقاً يوصلها إليه، ولا نهاية تبعدها عنه أو تأخذها إليه، تريده شمساً تبعث في قلبها الدّفء وتجعل أوراقها تزهر من جديد... سماع صوته يكفيها وكلمات الغزل التي يقولها عفو الخاطر ترضي غرورها... حتى لو لم يكن يقصدها فهي تحبّ سماعها وتجعلها تفرح كطفلة ترتدي ثياب العيد... نعم بات سام بالنّسبة لعليا ثوب العيد بعد أن كانت عارية... بات المطر بعد أن كانت جافة... وأصبح الدفء بعد أن كانت ترتجف من البرد... نعم هي تحبه..

– 2 –

لم تكن عليا تعرف أن الإنسان يولد وحيداً ويموت وحيداً، يموت على دفعات ويموت كثيراً... بعد أن يئست ممن ظنّته سنداً لها صارت تموت وحيدةً ربّما كلّ يوم أو كلّ ساعة أو كلّ حين، تموت وهي تنتظر، تموت وهي تبكي، تموت وهي واقفة تغسل الأواني، وهي تركض بين عناء الوظيفة والمنزل، وهي تسمع لهاثاً لا يعنيها، وهي ترى أنانيّة ذبحتها من الوريد إلى الوريد... وهي التي كانت تعشق الألوان الوردي والأصفر والأزرق والأبيض أصبحت تعشق الأسود الذي يشبه قلبها، وتعشق اللون الرمادي الذي يشبه جمرها المطفأ...

خيم الصّمت على صحراء روحها المتعبة، وأصبحت حياتها عبارة عن خطوط حمراء يجب عدم تجاوزها لكي تبقى على قيد ما تبقّى لها من الحياة.

تتسلّل من سريرها بهدوء، ونغمات شخير زوجها لم تتبدل منذ زمن طويل، إنّه لا يدري ما الذي ستفعله اليوم، عليها أن تنجو بنفسها وأن تفعل ذلك وحيدة لعلّ النور يعود إلى حياتها المطفأة.

تخرج من غرفة نومها شبه المظلمة بفعل الستائر المسدلة وهي تنظر إلى رؤوس أولادها الذين ينامون بهدوء وسلام، ومعهم رأس أختها.

تهرول في الشارع الخالي إلا من قطّة تموء، لكنّ قلبها يخفق بجنون ويقرع كطبل يقرعه عازف ما ولكن لا أحد يسمعه إلّا هي...

كيف خرجت دون أن تمضي إلى المطبخ وتعد فنجاناً من قهوتها التركية التي تعشق رائحتها وطعمها المرّ كحياتها... طالما شبّهت القهوة بالحياة... مُرّة ولكننا نحياها ونشربها حتى الثّمالة...

* * *

في كل مرة كانت عليا تصنع القهوة ونجلس معاً كانت تبدأ حديثها مع فنجان القهوة فتقول لي: لا تتهميني بالجنون أنهي حديثي مع قهوتي ثم أحدثك:

آهٍ يا قهوتي كم كنت رفيقة مخلصة لآلامي، كم حرقتِ معي سجائري ورسمت لي شبابيكاً من الأمل على حائط الفنجان المقلوب حين أحاول استجداء الأمل وسط الألم... آهٍ يا قهوتي...

أما سجائري فهي تصرخ من حقيبتي أن أشرعها فربما قد أدمنت شفتيّ وباتت تشتهي تقبيلهما وأنا أشتهي تقبيله...

ثم نبدأ حديثنا الذي لا يطيب إلا بالحديث عن سام الذي عشقته عليا بغتة، وبات كل حياتها.

فنجان القهوة الأوّل

قالت عليا:

وجاءني صوته الدافئ كشمس كانون... كنت قبلها بلحظات أقبّل صورته التي وضعتها على هاتفي... أنظر إلى عينيه الجميلتين العسليتين الناعستين... إلى شعره الممشط بأناقة... إلى صدره الذي طالما تمنيّت أن يضمّني بحرارة... إلى شفتيه اللتين وددت أن يرتشفا الرحيق عن شفتي...

لم أصدق عيني حين رأيت اسمه على جوالي... لم أعرف ماذا أفعل... لم أعد أعرف كيف سأجيب على الهاتف... رقص قلبي وارتجفت يدي وأجبته... وجاءني صوته ساحراً... وأنا التي تعلم كيف تتلاقى الأرواح وكيف تتواصل... هذه المرة خانتني روحي وما أسعدني بخيانتها... وذهبت إليه بسرعة البرق...

هل يا ترى أخبرته روحي كم أحبّه... بل كيف أحبّه، لأن العشق لا يقاس بالكمية ربما ولا بالكيفية، بل يقاس بالاحتراق ربما... هل همست روحي بأذنك أن تكلّمني رأفة منها على قلبي المتعب... كانت حجّة واهية تلك التي برّر بها اتّصاله، ولكنني طرت من الفرح بهذا الاتّصال.. ولم يعنيني السبب... كنت سأصرخ بأعلى صوتي أحبّك... ولكن كلسان طفل وليد تجمد اللسان... وحين ختمت الاتصال خانني لساني وخانني وجداني وخانتني رزانتي وقلت لك: حسناً حبيبي... وأغلقت الهاتف.. نعم قلتها له... هل تراك ظننتها عفو الخاطر... ربما... لا أدري، ولا أريد أن أدري.

سأعود إلى صورته وأقبلها على شفتيه وأهمس في أذنه: أحبك.

فنجان القهوة الثاني

قلت لعليا: لم تحدثيني كيف تعرفتِ إلى سام؟

قالت عليا:

إنه سام، أسماه والده هذا الاسم الغريب، هذا الاسم الذي خطّ رحلة عذابي بعد أن التقيته، هذا الاسم الذي أشعل موقداً مطفأً منذ سنين طويلة، بل منذ قرون.

هو أيضاً قادمٌ من الشمال السوري، حيث انحدر أنا أيضاً ولكن لا قرابة مباشرة تجمعنا.

جاء إلى مكتب البريد يريد إرسال أوراق رسميّة لأهله، لا يجوز إرسالها بالفاكس لأنها بحاجة إلى توقيعٍ حيّ، قلت له إنّ أختي ستسافر إلى هناك وسأجعلها تؤمّن لك الأوراق وتحضرهم معها مختومين حين تعود. فتبادلنا أرقام الجوّالات وهكذا تعارفنا... ومن هنا بدأت رحلة عذابي.

في البداية صار يتّصل ليسأل عن أوراقه، ولكنني كنت انتظر اتصاله بفارغ الصبر، وحين جاءت الأوراق ودعاني إلى فنجان قهوة لم أتردد أبداً.

عرض عليّ مشروعاً رائعاً يقدم الخير للناس، والفائدة المادية، وأراد مساعدتي وخبرتي كوني أحمل شهادة في الاقتصاد كما تعرفين.

كان يتركني أيّاماً على نار الانتظار، ولم أكن أدرك لماذا، لكنني كنت أموت رويداً رويداً لشدة عشقي له.

اتّصلت به: يجب أن نلتقي لنضع خطة المشروع..

– أنا موافق متى سنلتقي؟

– غداً مساء.

– أين؟

– لا يهم.

كنت سأصرخ فيه: اشتقت إليك، روحي اشتاقت لروحك العذبة، وأذناي أدمنتا صوتك الغالي... لا لا أستطيع البوح فأنا مكبّلة بألف قيد وقيد... ومنذ أن حددنا اللقاء وأنا أغني أغنية أم كلثوم "أغداً ألقاك... يا خوف فؤادي من غدي... يا لشوقي واحتراقي في انتظار الموعد... آه... كم أخشى... غدي هذا... وأرجوه اقترابا...".

نعم كنت أتشوّق للقائه كرضيعٍ يتشهى ثدي أمّه... كان النوم متقطعاً... فقلبي يزهر رغماً عني... أو بإرادتي... لا أدري...

كان النهار طويلاً إلى أن جاء الموعد... حتى قدماي كانتا على وشك خيانتي، فأنا امرأة قد نسيت كيف تسير... جلست بقربه في سيارته... كانت رائحة عطره تغمر قلبي.. قلبي الذي يقطر فرحاً... كنت قد جهّزت آلاف المفردات لأحكيها له... لكنها فراشات واحترقت بناره... كنت أظنّ بأن جمر قلبي سيهدأ حين يلقاه... تحدثنا كثيراً... ولكن الساعات مرّت مسرعة... كان يتحدث بينما أشربُ العسلَ من عينيه... قلت له كلمات ندمت على قولها حين رجعت... حدثته عن مكانته الكبيرة في قلبي... قلت له بأنّ حياته ملكه ومشاعري ملكي... قلت له أريدك صديقي فقط... ذهبت إليه بنصف قلب وعدت بلا قلب... ذهبت إليه ببعض

رماد وبعض الجمر وعدت جمراً... ذهبت إليه ببعض حب وعدت بحراً... انقضت الساعات كرمشة عين وكان لابدّ من الافتراق... وعدت وقلبي يقفز بين ضلوعي وأنا أحاول أن أهدئ من روعه... ظننت أن اسمه محفور على وجهي وأنّ من سينظر إليّ سيراه في مقلتي... حاولت أن أتماسك... ولكن قلبي قد أضاع نبضاته... وإنني أحبه.

* * *

فنجان القهوة الثالث

آ يا منى:

أيّة ريح قذفته إليّ؟... وأيّة شجرة عارية استقبلته في حضنها؟... لم يكن مضطراً أن يلزم هذه الشجرة العارية إلّا من أغصانها... ومع ذلك كان مخلصاً... وهو الذي يمكنه أن يختار حديقة مزهرة لكنّه أبى إلّا أن يتشبّث في قلبي الذي كان سعيداً جداً به.

... وبات إدماني لصوته كالهواء والماء... لم أكن أراه كل يوم لكن روحي كانت تراه كل لحظة، وحين كان يغلبني النعاس كنت أرسل روحي إليه... وهكذا نجحت في أن أجعله يدمنني ولكن ربما ليس كما أدمنته أنا... لم أكن أريد منه أن يعترف لي بحبه، ولكنني كنت أريد أن يغترف الحبّ من قلبي.

لم أكن أريد لهذه الكلمة أن تشوّه علاقتنا التي أسميناها صداقة... ولكنني بتّ من أولوياته وكان هذا يفرحني... إنه وردة عمري التي أزهرت بعد ذبول... كنت أنتظر بفارغ الصبر أن يقول لي يجب أن نلتقي... وجاء صوته كرجع ناي حزين وخجل مراهقة لم تعتد الحب بعد... ما رأيك أن نلتقي لنتحدث عن مشروعنا؟

– سنلتقي غداً... كانت الشمس تضحك طيلة النهار وتتبعني أينما ذهبت... غادريني أيتها الشمس فشمس حياتي في قلبي... ولكنها كانت تهمس في أذني: ستفرحين هذا اليوم، قلت لها: أعرف ذلك سألتقي حبيبي... قالت: بل ستفرحين أكثر... وجاء الموعد جلست بقربه.. صافحته وشددت على يده... وانطلقت السيارة بنا إلى مقهى هادئ وجميل... كانت أغنية أم كلثوم تشدو "طول

عمري أخاف من الحب... وسيرة الحب.. " ابتسمت وقلت له بخبث متعمّد: ما تكون عشقان؟

– وأجاب ببساطته المعهودة وصوته الشهي كقطعة شوكولا سويسرية: الله لا يقدّر...

لم يزعجني الجواب، يكفيني فرحاً إني بقربه... وفي المقهى الرّاقي الهادئ جلست قبالته لأنني أريد أن أرتوي من نور وجهه... أخرج من جيبه علبة صغيرة وقال لي تفضلي...

– أرجوك لا أريد هدايا... لا أريد للمال أن يفسد صداقتنا... لا أريد أن أقبل هدية أنا اعجز عن تقديم مثلها إليك.

– بل ستقبلينها لأنها صُنعت خصيصاً لك..

– لي أنا..

– لك أنت يا... صديقتي..

وفتحت العلبة كانت قطعة ذهبية على شكل كتاب مفتوح على صفحته الأولى نقش اسمي علياء وعلى الصفحة المقابلة نقشت كلمة الروح... وكان السلسال يلتف تحت الكتاب كأفعى خبيثة...

– هذا كثير عليّ.

– كنت أتمنى لو أستطيع أن أنقش اسمي إلى جانب اسمك، ولكنك متزوجة، وأنا سأبقي روحي أمانة عندك حتى أعود من السفر، هيا دعيني ألبسك الطوق واعلمي إن روحي بين يديك.

تجمّد اللسان... توقف القلب عن الخفقان... شعوران متناقضان تماماً يحكمان القلب.. شعور الفرح بهدية تؤكّد حبّه لي، وشعور الحزن لسفره المفاجئ... وخانتني الدمعة اللئيمة...

– لقد عوّدتَ قلبي على الفرح وستتركني الآن في مهب الريح وحيدة..

مدّ سبابته ومسح دمعتي... وتوقفنا عن الكلام... كان الصّمت سيّد الموقف ولكنه كان أبلغ من أيّ كلام... فأنا معه أنسى أبجديتي، ومعه أعود أمية... وسافر..

وإني أحبه...

* * *

فنجان القهوة الرابع

قالت عليا:

عمري ألف سنة وسنة من الخيبات... لو كنت أقوى لهربت راكضة منذ زواجي قبل ستة عشر عاماً لهربت راكضة إلى أي مكان آخر، لقبضت على حياتي قبل أن تهرب منّي... لما قضيت سنوات من التردد والخوف والصمت والبكاء الليلي السرّي في الحمّام، وجارتي التي تنظر إليّ بشفقة كلما التقينا على درج البناية، لا بد إنها تسمع صوتي وأنا أجهش في البكاء، لا بد أنها تسمع صراخه الوحشي كلما توحش وأفرغ جام غضبه عليّ.

عاد سام من السفر وكان قلبي يلتهب ناراً ليراه، أصبحت مدمنة عليه على صوته، على همسه على حديثه، على ارتشاف العسل من عينيه والدفء من يديه..

رغم أنه لا يحب أن يستيقظ باكراً لكن موعدنا هذه المرة صباحي على غير عادتنا.. تسللتُ على رؤوس أصابعي، وضعت أوراقي الشخصية في حقيبتي وارتديت طوق الذهب الوحيد الذي أملكه... وهو الذي أهداني إياه

أغلقت الباب بهدوء وانطلقت راكضة على السلم، التقيت بجارنا حسن الذي يكرهني وينظر إليّ نظرة اتّهام وكأنّه عرف ما بي، وهو الذي منع زوجته من الحديث معي خائفاً عليها منّي، زوجته التي كلّ حياتها شطف البيت والدرج والغسيل المنمّق المنشّر بترتيب ونظام على الحبال...

لم أكن أدري إن كنت سأعود حية من تلك المغامرة، ولكنني

مستعدة أن أقدم ما بقي من حياتي لأقضي معه بعض الزمن...

في الليلة السابقة لتلك الرحلة وضعت الزّيت على مفاصل الأبواب كي لا تصدر صريراً حين أتسلّل منها... انتقيت ثياباً جميلة، بل اشتريت ثياباً جديدة لألتقيه، ألا تشتري الناس ثياباً جديدة للعيد وهو العيد... ألم يُعِد الجمر إلى الرّماد المطفأ؟...

إنه ليس عيدي فقط، إنه صاحب معجزات، فالمعجزات التي ارتكبها في قلبي وحياتي تضاهي معجزات السيد المسيح... خرجت من البيت وكان المطر غزيراً، لم أفتح مظلتي فقد كانت النيران في قلبي تحرقني ولكم وددت أن أفتح قلبي وأشرعه للمطر ليتبرد قليلاً.. ولكن كان ذلك عبثاً...

منذ عرفته أصبح قلبي يتسرع كثيراً هل تراني مريضة فيه، كيف أكون مريضة به وهو شفائي من الموت الذي كنت أعيشه...

ها أنا في الشارع وصار بوسعي السير بسرعة دون اكتراث لأحد، رائحة الخريف تسري في شرايين المدينة وشراييني، رائحة الخبز تنبعث من فرن التنّور، فكرت أن أشتري رغيفاً من الخبز لنأكله معاً، ولكن أعلم كم هو حريص على نظافة سيارته فغيّرت رأيي...

جارتنا صاحبة محل السوبر ماركت والمعروفة بكلبها المدلل كانت تضع كلبها في حضنها بينما تشدو فيروز "وحدن بيبقو مثل زهر البيلسان" وصرخت من داخلي:

لا لست وحدي هو معي... وضحكت قطة تموء تحت إحدى السيارات.

ما أبهاه... كان ينتظرني في سيارته المرسيدس السوداء اللامعة... إنها المرة الأولى التي ينتظرني بها... في المرات السابقة كنت أنا انتظره... هل تراه خائف مثلي من المغامرة...؟ هل تراه اشتاق إليّ كما اشتقت إليه...؟ وهو الصّامت الذي لا يبوح بمشاعره... رغم أنني كنت أتمنى سماع كلمات الحب منه... لكن صمته جعل لعلاقتنا أبعاداً أسمى... وأنا التي كنت أخاطبه بصديقي تهذيباً للعلاقة التي بيننا...

اعترفتُ له بأنّه يسكن حجرة في قلبي... لم يسألني أية حجرة أقصد ولو سألني لقلت له الحجرة الأقرب إلى شغاف القلب.

رائحة عطره الساحرة تملأ المكان وأنا المتيّمة به شددت على يده حين صافحته... هل تعرفين يا منى كيف تصبح المصافحة عناق...

- كيفك؟
- اشتقتلك...
- الحمد لله عالسّلامة.
- شكرا لقبولك الذهاب معي إلى حمص.

* * *

فنجان القهوة الخامس

آه يا صديقتي منى:

غيابه حارق وقربه نار... ما الذي فعله بقلبي سامحه الله... أيّة لعنة جعلته يقاطع طريقي ويسبّب لي كلّ هذا الوجع وهذا الضياع...

أحببته... تخنقني هذه الكلمة.. تشعلني... تذبحني... أنا أحاول أن أقاوم وألا أبوح بها وأجدها لا تليق بي.... وهو جبل صامت... شيخ وقور رغم صغر سنه... هو الذي لا يؤمن بالحب... هو الذي جاء إليّ على قدميه... بل بروحه... وأنا التي ترسل روحها كل يوم لتعانقه وتتبعه وتهمس بأذنه: إنّي أعشقك يا صغيري..

أنا لا أتقن فن التعامل مع الرّجال... ليس لدي دروس جاهزة لأحافظ على هذا أو أوقع ذاك في حبائلي وشباكي... وأنا المؤمنة بقول صديقتي الشاعرة عبير:

وما الحب إلا خدعة كبرى
وما نحن سوى حمقى
نسير سكارى في ظلام الطريق
لأنّنا من ذلك الحلم المعطر بالخرافة
لا نريد لعينينا
أن تستفيق

ولكنه غيّر قناعاتي وأنا الغارقة فيه من قبة رأسي حتى أخمص قدمي، بل من الوريد إلى الوريد...

أنا لم أخطط لشيء إلا أن أكون معه لأطول وقت ممكن، وجوده بقربي يريحني...

لقد صمّمت حتى لو دفعت عمري ثمناً لهذه اللحظات أو الساعات، أليس من حقّي أن ألقي القبض على حياتي.

طول الطريق إلى حمص شاركتنا فيروز صباحنا... صوته الجميل وكلماته البسيطة تحكي قصة روح نقية وحزن دفين، وأنا قرّرت أن أتسلّل إلى أعماقه، أن أتعربش على حنايا روحه لأتعرف أوجاع شخص جميل مثله... عرفت جزءاً منها ولم أستطع البوح...

لم نتبادل كلمات الحب طول الطريق، وهو الذي يكره الحب ولكنني كنت أخبره كم اشتقت إليه... وهو يكتفي بقول: وأنا أيضاً...

أنه رجل عجيب... نعم نعم.. عجيب... حين أمسك بيدي اشتعل قلبي ورقص في مكانه، رغم إنني منذ عرفته وهو يرتجف ويرتجف ويرتجف...

أخبرته كم توجّعت في غيابه عندما سافر، ظلّ قلبي يرتجف إلى أن اطمئنيت إلى وصوله بالسلامة، ولكن كلماته المقتضبة حولت قلبي من الارتجاف إلى الاحتراق... أخبرته كيف وضعت صورته أمامي وأرسلت روحي إليه... أرسلتها لتقبّله وتخبره عن شوقي، ولكنّه كان يقاومها... وكم تعذّبت لذلك... لم أنم... وأصبحت في مرحلة الهوى... وقررت فجأة ألا أبدأ صباحي به في اليوم التالي... لا... ها أنا أكذب من جديد فلا صباح يبتدئ إلّا به، و أغفو وصورته أمام عيني...

لم أخبره إنني لم أستطع الأكل ولم أتناول أدويتي ولم أستطع

الذهاب إلى مكتب البريد حيث أعمل، لقد عدت إلى مراهقة تذوب في شبر من الحب... ولكنني لست بمراهقة وحبه ليس شبراً إنه بحر متلاطم الأمواج... وأنا غارقة فيه...

وأخبرته أنني في صباح اليوم التالي قررت ألا أرسل إليه تحية الصباح رغم أنه سيشاركني فنجان قهوتي وسجائري الثلاث، وكم عذبني ذلك، وذهبت إلى عملي وفيروز تصدح في أذني عبر سماعة تبقيني معه فقط وله فقط (ليتك هون حبيبي وليت، ويكون نبيذ وشمع الليل)... حتى أولادي لم أعد أكترث بهم وأختي كانت تعاتبني وتقول لي: لماذا تغيرت فجأة هكذا؟ أين ذهب حنانك لأولادك واهتمامك بزوجك وبيتك؟ انظري إلى صحتك، أنت تذوبين كقطعة سكر في كوب من الشاي.

شربت القهوة والكثير من القهوة ولكن حتى حبات البن كانت تصرخ باسمه وطعم القهوة اللاذع يشبه حبه... قاومت حتى المساء.. تفحصت جوالي آلاف المرات وفي كل مرة كنت أعود خائبة فهو لم يرسل لي حتى وردة...

أخبرته عندما خانتني أصابعي وأرسلت له وردة صغيرة وتحية فأجابني بإجاباته المقتضبة، أرسلت له صورة كنت قد صممتها خصيصا من أجله وكتبت عليها بعض كلمات ولكن تعليقه البسيط كان هبة ريح أشعلت جمري من جديد... فمحوت رسالتي... تركت أولادي يدرسون وحدهم.. ، خرجت أمشي في الليل... أسير وأسير وأحدث قلبي عنه...

حدثته كيف اتخذت قراراً... قراراً... أن أبتعد عنه... وألا تكون

القبلة الأخيرة له قبل النوم وألا أبتدئ صباحي به من جديد.... ولكنني حين وضعت رأسي على وسادتي وقد هدني التعب والتوقف عن الأكل منذ تغيّر معي... أرسلت روحي إليه وغفوت أخيراً بعد ثمانية وأربعين ساعة من الاستيقاظ والألم والشوق والحنين واللهفة...

وجاء الصباح التالي كنت مرتاحة فلقد استطاعت روحي الوصول إليه، وعادت لتخبرني بأنه هو هكذا لا يحب الكلام ولا يتقنه... لا يريد أن يهتم بي كي لا أتعلّق فيه ولكنه مهتم... وأنا لا أصلح أن أكون له فأنا متزوجة ولدي أولاد... شكرت روحي... أمسكت جوالي وأرسلت له تحية الصباح وكلمتين مقتضبتين... فعلاً صدق من قال: كلام الليل يمحوه النهار... وكم كنت مرتاحة لأنني قررت أن أحبه على طريقتي، طريقتي أنا فقط وليس كما أحب روميو جولييت ولا كما أحبت ليلى الأخيلية عتبة... وقررت أن أبقيه صديق روحي المتعبة، ولكن مشاعري التي في قلبي أنا حرة فيها... وقررت أن أتمسّك بوجوده بقربي...

طوال الطريق وأنا أحدثه عن كل هذه التفاصيل وهو يبتسم... وبعد كل هذه الثرثرة قال لي... وأنا أيضاً... نظرت إليه بدهشة... هل سينطق هذا الجبل الأبكم... وتابع: وأنا أيضاً، والله أعلم ماذا كنت أقول لنفسي عنك... وانفجرت بضحكة مجلجلة أزعجته وفاجأته...

قلت له: أنا آسفة ولكن إجابتك صفعتني على وجه روحي... ثم سكتّ... وسالت الدموع على وجنتي... أشحت برأسي إلى شباك السيارة اليميني كي لا يرى دموعي.... أوقف سيارته وصرخ بي: انظري إليّ، اكبري أرجوك... أنت امرأة متزوجة ولديك أولاد وأنا أحبك

وتعلقت بك، ولكن ماذا بعد...؟ صمتي بك يعذبني كثيراً... ولا أدري ماذا أفعل... لو تعمقتِ بأفكاركِ أكثر لأدركتِ كم أنا أحبك... حين رأيتك أول مرة في مكتب البريد شعرت أني أعرفك منذ زمن طويل... واتّصلت بك أول مرة لأسألك عن أوراقي ولكنني في الحقيقة اتصلت لأطمئن عليك... ذهبت مرات ومرات وقفت أمام مكتب البريد لأراك وألمحك من بعيد... وهل تذكرين كم اتصال تبادلنا بعد ذلك؟ ألا تؤمنين بالروح.. ؟ ألم تدركي أن ما بيننا أعظم من الحب...؟

فتحتُ باب سيارته وأخرجت سجائري وأحرقت سيجارتي الأولى، حين لامس عقب السيجارة شفتي تمنيت لو أنهما شفتاه تقبلانني... تركته وراء مقود السيارة ونزلت.. ابتعدت قليلاً إلى شجرة تقف وحيدة نظرت إليّ بحنان... لم أكن أريده أن يرى عينيّ الدامعتين... ولكن حين حطت يده على كتفي... طار قلبي كعصفور صغير... أمسك يدي وأعادني إلى السيارة...

قلت له: سام، أنا لا أريد الزواج بك ولا بغيرك، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، كما أنني لست أنانية لأحطم عائلتي... أنا فقط أريدك بقربي... أنت حتماً كنت حبيبي في أجيال سابقة...

– وأن أظن ذلك يا عليا...

– سام أرجوك ابق بقربي، أنا بحاجتك لا أريد أن أخسرك.

– أنا معك...

وصلنا إلى دمشق وكالعادة تقصر معه الساعات وتطول بدونه... وإني أحبه.

* * *

فنجان القهوة السادس

– أكملي يا عليا ماذا حصل بعد ذلك؟

– سأكمل مع ركوة جديدة من القهوة.

وضعت المفتاح بقفل الباب واستعديت لوحش سيهاجمني... كانت الساعة السابعة مساء، وكان زيدون يجلس أمام التلفاز كالعادة يرى مسلسلاً رآه عشرات المرات من قبل، وحين دخلت وقف غاضباً وبدأ يصرخ ويشتم...

– أين كنت يا مجنونة.. ؟ اتصلت بك ولم تجيبي على جوالك... سألت عنك في العمل وقالوا إنك في مهمة خارج المحافظة... كيف تذهبين دون أن تخبريني.. ؟. مع من ذهبت هيا اعترفي...؟

صراخ زيدون لم يزعجني هذه المرة فكل الاتهامات السابقة التي اعتاد أن يكيلها لي كانت ظالمة، وكانت تقتلني من الداخل... إلا هذه المرة فهو محق فيها... وكنت أود أن أصرخ بوجهه نعم أنت محق هذه المرة لقد كنت مع حبيبي.

لأول مرة أشعر أن اختياري صحيح وأنني قوية بحبي... حبي الذي جعلني أزهر من جديد... حبي الذي سأجابه به قسوة العالم الخارجي...

لقد عدت بحقيبتي و أغراضي وقلب مزهر... عدت لأن حبيبي لا يريد أن يمزق عائلتي.. وأنا لا أريد أن أخسرها أيضاً... ولكن ما اشتعل بقلبي لم يكن بإرادتي..

* * *

كان صمت عليا يعذبها وبوحها يعذبها أكثر، صارت ترى سام في كل وجه، وتسمع صوته في كل صوت، وترى نظرات عينيه في كل عين، باتت تفكر فيه أكثر من أولادها ومن عملها... لقد أصبح الأوكسجين الذي تتنفسه وهي تكابر على نفسها.. انقطعت عن الطعام والشراب إلا من قهوتها، وصارت كالمغيبة عن هذا العالم إلا عنه ومنه وإليه... أحبته أكثر مما ينبغي، وطلبت من الله أن يخبرها لماذا وضعه في طريقها...

صلت كثيراً وبكت كثيراً وكان سام صلاتها وقبلتها وعبادتها... إلى أن وقعت أرضاً في المكتب حيث تعمل وكنت إلى جانبها، فجأة سقطت أرضاً وأصبح نفسها ضعيفاً جداً.. وكانت باردة جداً، حملناها بسرعة إلى المستشفى وكنا نبكي، ظنناها تحتضر... شتمتُ سام في قلبي، فبسببه ظننت أنني أخسر أعزّ صديقة عندي.

اتصلتُ بزوجها كي أخبره أن عليا في المستشفى، أدخلوها غرفة العناية المشددة، وبقينا في انتظارها خارجاً.

في اليوم التالي خرجت عليا من المستشفى، وذهبتُ للاطمئنان عليها، وكانت ضعيفة جداً.

* * *

فنجان القهوة السابع

قالت لي عليا:

– هذه المرة يا منى أنت من سيصنع القهوة لأحدثك ما الذي حصل معي في المستشفى، فما حصل أغرب من الخيال.

– ولكن الطبيب منعك من القهوة يا عليا.

– لم يعد في العمر بقية يا صديقتي، أشتاق لفنجان قهوة من يدك.

ومع أول رشفة قهوة ألقت على قهوتها التحية كالعادة وقالت لي:

– إنني يا منى قد متُّ وعدت للحياة ثانية، لقد رحلت روحي إلى السماء شاهدته هناك نجمة عالية... صرخت به: سام لا أريد غيرك... خذني إليك... خذني أرتاح بين يديك... وأخذني إليه... كيف هذا أنا لم أكن أنا وهو لم يكن هو... كان شيخا جليلاً جميلاً مهيباً، صرخ بي: أخيراً عدت إليّ يا مهجة الروح... كيف تركتني ورحلت عن هذا العالم؟... ثمان سنين وأنا أبكيك ليل نهار، وأنا أصلّي كلّ يوم لأموت وأبحث عنك بين يدي الله... يا حبيبتي... يا رفيقة دربي الشائك... هل تذكرين كيف وقفتِ إلى جانبي وكنا زوجين أخوين، وقد احترمتِ رغبتي بالتبتل والتفرغ لعبادة الله... كم ألحّ الأهل عليك بالسؤال عن عدم الإنجاب وكنتِ تقولين لهم إنك عقيم، ولكن حين وافتكِ المنية قلتُ لهم: كفنوا أختي... نعم كنتِ أختي بعهد الله، يا حبيبة روحي كم افتقدتك، وكم تمنيت أن أقبّلك وأنت على المنية..

نعم تذكرتك يا أمين....

فتحت عيني كنت أخرج من طريق أسود تتلقاني طبيبة تمسكني من قدمي، يقطعون عنّي الحبل السري أصرخ بهم وأسألهم أين أنا، لكن صوتي كان صراخاً وكان لساني عبارة عن قطعة من الخشب... صرخت عالياً سام... وجاءني راكضاً جاءت روحه إليّ سحابة بيضاء هذه المرّة كان فيها شيخاً جليلاً... سمعتهم يصرخون ماتت البنت... وكنتُ أرى جثتي... جثة عليا ممددة على سرير في العناية المشددة وبعد أن توقف النبض نهائياً وأصبح شريط ضربات القلب عبارة عن خط مستقيم راح الأطباء يضربون قلبي بضربات كهربائية كانت عائلة كاملة تبكي على وليدة لم تعش إلا لحظات هي أنا، وعائلة أخرى تضحك وتهنئ بعضها البعض على عودتي للحياة، هي أنا، وفي كل الحيوات كان هو حبيبي سام.

حتى في لحظات الموت والصعود إلى السماء كان معي...

أول كلمة نطقتها بعد أن عدت لحياتي هذه هي اسم (أمين).. لم يعرف أحد من هو أمين... وهو لم يعرف بعد أنه الشيخ أمين ولا أعرف متى سأخبره، ولكن يكفيني أن روحي ارتاحت عندما عرفت لماذا كل هذا التماهي به والتعلق فيه...

حين أخرجوني من المستشفى على كرسي بعجلات.... رأيته، كان يجلس بسيارته خلف المقود، كيف عرف أنني في المستشفى؟

وهل تراه عرف أن روحه هي من أعادتني إلى الحياة... نظرت إليه بابتسام و كم كرهتُ أن يراني ضعيفة، كم تمنيت أن أقول

لزوجي ضعوني بتلك السيارة إلى جانب حبيبي فهو شفائي، كانت سيارة زوجي تقف أمام باب المستشفى، حين انطلقت السيارة بي إلى البيت، انطلق هو أيضاً تجاوزنا نظر إليّ وفهمت عليه... سبقنا وركن سيارته أمام عمارتنا.

كان يقف كعابر سبيل ينتظر حافلة، وحين نزلت أنا من السيارة اقترب مني وقال لي:

– الحمد لله عالسلامة هل أساعدكم...؟

أجابه ابني بجفاء – شكراً، وزوجي نظر إليه بازدراء، ولربما شعر بأن عابر السبيل هذا هو غريمه الذي سرق منه قلب زوجته، وحدي من كنت أطير من الفرح، وكالعادة غمزته بكلتا عيني وابتسمت له من أعماق روحي.، وقد تحولت النظرة إلى أكثر من عناق... وكم تمنيت أن أرتمي في حضنه الدافئ... حضنه الذي حرمني منه لربع قرن في إحدى الأجيال السابقة، ويبدو أنه سيحرمني منه أيضاً في هذا الجيل... كلمة أحبه لم تعد تكفي، أنا أعشقه بل أنا هائمة فيه وممتلئة منه حتى الثمالة... اختارني القدر أن أوثق تاريخه في الجيلين وأن يعذبني في الجيلين وأن أعشقه في الجيلين وإني أحبه..

* * *

فنجان القهوة الثامن

قالت عليا:

– قررت أن أطفئ نيران قلبي، وأن أبردها، قررت أن أتوقّف عن حبّه بصخب وحرقة وسهاد، اقتنعت أنّه نجمة في سمائي، وأنا نجمة أخرى، وعرفت أن الحبّ ليس قرار، وأن الروح تهفو إلى نصفها الثاني، وهو نصفي الثاني، شاء أم أبى...

وماذا بعد... هل سنبقى هائمين في عالمين مختلفين... وبت أسميه وجع الروح...

أو على الأقل لن أعبر له عن نيراني، سأظهر الجليد أمامه حتى لو كانت نيراناً ملتهبة... وأنا أعرف وهو يعرف كم أحبه وقررت، نعم لقد قررت أن أحبه بنجاحي وأن أحارب قلبي بنجاحي، وأن أجعله يتشوق لرؤيتي...

وبقيت مترددة هل أخبره من هو وماذا كان بالنسبة إلي؟

من الواضح أنّه قرّر أن يقتلني مرتين، وأن يحرمني منه جيلين كاملين، ألا يخاف أن أحرمه منّي في أجيال لاحقة...؟

شكراً للوجع الذي سببه لي... شكراً لروحه التي أتعبتني... بت تائهة بيني وبين نفسي، هل تراني أخطأت بحقه... لا أظن ذلك... هل أخطأت حين أخبرته عن مشاعري وأنا التي لم أطلب منه مقابلاً لها... لست أدري...

كل ما أدريه أنني مذ عرفته تغيرت حياتي 180 درجة في الأسبوع الأول بعد لقائي الأول معه كانت أسعد أيام حياتي، كان الفرح يغمرني من قمة رأسي حتى أخمص قدميّ، وبعد لقائنا الثاني

الذي كان عبارة عن فضفضة تحدثناها مع بعضنا وسافر لأيام قليلة... وبمجرد أن غادر سوريا أخذ روحي معه.. كان شعوراً غريباً وكأن روحي تخرج مني بفعل مغناطيس كبير وتنجذب إليه، لم أكن أعلم قبل ذلك أن توءم الروح قادر أن يسلب من الآخر روحه... وبغيابه عشت الجحيم، كادت النيران تأكل قلبي، وأصبح نفسي ضعيف، هجرني النوم ولم أكن قادرة على تناول الطعام، وحين عاد كان قد تغير أو ظننته تغيّر ولكن في الحقيقة كان يهرب مني، وأصبحت روحي متعبة حتى الوجع...

* * *

فنجان القهوة التاسع

ورحل بعيداً عن طريقي... بل هرب مني، وباتت النيران تأكل قلبي لماذا أتى؟ لماذا رحل؟

كل مل أدريه أنه أصبح الأوكسجين الذي أتنفسه، وأنني أصبحت ضعيفة واهنة وأن قلبي المسكين قد تعب من الشوق إليه واللهفة عليه...

كنت أجلس خلف طاولة المكتب، هزني الشوق، أمسكت جوالي وهاتفته كان خطّه مغلقاً كالعادة، هل تراه سافر أم غير رقمه أم حظرني من الاتصالات؟... لا أدري ولكنني أحسست بإهانة كبيرة وألم كبير، وأذكر أنني غبت عن الوعي وسقطت عن الكرسي، وأذكر أنني صحوت في المستشفى وزميلاتي إلى جانبي وزوجي وابني، وبعد الصورة وتخطيط القلب قال طبيب القلب لا بد من إجراء عملية قلب مفتوح في أقرب وقت، وحين شخّص لي الطبيب عملية قلب مفتوح كان خوفي الوحيد أن يقرؤوا اسمه المحفور على شغاف القلب... وكم تمنيت ألّا أخرج من العملية حيّة فلا حياة بدونه، بل الحياة بدونه هي عبارة عن رحلة من العذاب، وخفت أن أردد اسمه وأنا أستيقظ من البنج... وتمنيت أن تسافر روحي لتعانق روحه في أي زمان ومكان...

قال الطبيب: لا تخافي من العملية فهي مضمونة 100 بالمئة.

قلت له: أنا لا أخشى الموت أيها الطبيب، بل وأتمناه أيضاً.

فأراد الطبيب أن يدخل شيئاً من المرح على هذا الحوار الجنائزي فقال: إن موتك سيكون لصالح زوجك كي يجدد شبابه

ويتزوج من جديد. وبابتسامة ساخرة ملت بشفتي نحو اليمين قلت: هنيئاً له متى شاء فعل.

لم يعجب جوابي الطبيب ولا زوجي ولا زميلاتي فاستدرك الطبيب: عليكم بإجراء العملية بأسرع وقت ممكن فالوقت ليس لصالحكم، وعندما تقرروا أخبروني.

كانت تكاليف العملية باهظة ونحن لا نملك ثلاثة ملايين ليرة لإجرائها، فخرجت من المستشفى، وكان كلّ أملي أن ألقاه قبل أن أموت وأن أسأله سؤالاً واحداً لماذا رحلت؟

* * *

فنجان القهوة العاشر

رنّ الجوال فجأة بعد شهرين تماماً من انقطاع أخباره، وبعد أن عوّدت نفسي على نسيان سام، كان رقماً بلا اسم، وكأنه يعرف بأنني قد لا أجيب إذا طلبني من رقم جواله المحفوظ.

– مساء الخير... قال بصوته المحبب الساحر بالنسبة إلي.

– مساء النور... قلت بهدوء.. خفق قلبي لكنني كنت عاجزة عن التصديق أنه هو.. ففكرت لا بد أن الأمور التبست علي.

– كيف حالك؟

– من معي لو سمحت؟

– أنا سام، ألم تعرفيني يا عليا؟

– سام... بعد كل هذا الغياب وهذا الجفاء؟.

– معكِ حقّ... ولكن... اقبلي اعتذاري.. كنت مشغولاً جداً.

– وهل كنت مشغولاً لدرجة أنك لا تستطيع إرسال تحية صباحية على الأقل؟.

– أرجوكِ اعذريني، أريد أن أراك...

– أعتذر منك لا وقت لديّ لأراك... قلتها وقلبي يتمزق من الألم، وكم تمنيت لو أنه أمامي لأعانقه...

– لا.. لن أقبل أي اعتذار ولا أعذار، يجب أن أراك وإلا سآتي إلى مكتبك.

– أنت تعلم أنني لا أستقبل زيارات خاصة في مكتبي حتى لو كنت أنت.

– إذن سأراك غداً.. الساعة الخامسة سآتي لآخذك بسيارتي

من ذات المكان الذي أخذتك منه آخر مرة.

– حسناً... إلى اللقاء...

وكالمرّة السابقة صررت أردد أغنية أم كلثوم "أغداً ألقاك" عشرات المرات... ولا سيما حين تصرخ بصوتها الشجي "يا لشوقي واحتراقي في انتظار الموعد"... ولكن هذه المرة لم أكن سعيدة للقاء، بل كنت خائفة، أحسست أن ما سيخبرني به سيؤلمني... لم أتخير ملابسي بعناية كالمرة السابقة، ولم أضع مساحيق التجميل... لم أستطع أن أنسى كل الآلام التي سببها لروحي بعد أن غادرني فجأة.. وكنت خائفة من أعذاره...

جاء الموعد... كنت أمشي الهوينى إلى حيث اعتدنا اللقاء... كان جالساً بسيارته ينتظرني،.. أنزل بلور سيارته ونظر إليّ... ابتسمت له من قلبي ونسيت كل حقدي عليه.. صعدت إلى سيارته وجلست إلى جانبه.. مددت يدي وصافحته، أبقى على كفي بكفه هنيهة وقد تحولت المصافحة إلى عناق... اشتعل قلبي لكنني سحبت كفي من يده وبقيت صامتة.

– كيفك..

– الحمد لله...

صمتَ وصمتّ...

– إلى أين تريدين أن نذهب؟

– لا أدري إلى حيث تريد.. المهم أن يكون المكان هادئاً...

– ماذا فعلت بهذين الشهرين اللذين تركتك فيهما؟

– إذن أنت تعلم أنهما شهران.

– طبعاً أعلم... ماذا فعلتِ أخبريني...

– لن أخبرك بشيء حتى نجلس في المقهى... دعني أستوعب انك معي بعد كل هذا الغياب..

وصلنا إلى مقهى (ضوء القمر) هو ذات المقهى الذي اجتمعنا فيه من قبل وجلسنا على ذات الطاولة... سحب لي الكرسي لأجلس بجانبه لكنني رفضت وسحبت الكرسي المقابل له وجلست...

– لماذا لم تجلسي إلى جانبي؟

– لأنني أريد أن أرى عينيك وأنت تكذب..

– ماذا؟ قالها بدهشة وغضب...

– أتعتقد أنني سأصدق مبرراتك التي ألفتها بدقة قبل أن أسمعها ولكن لا بأس سأسمعها منك وأنا حرّة إن صدقتها أم لا.

– أولا أخبريني ماذا فعلتِ أنت بهذين الشهرين؟

– أعتقد انه لا يهمّك ما الذي فعلته.. ولكنني سأجيبك ببساطة كي ترتاح وأسمع أخبارك.. في بداية غيابك تمزق قلبي.. وتاهت روحي، بالكاد كنت آكل أو أنام.. تألمت، بكيت، كتبت إليك عشرات الرسائل ومحوتها... تساءلت كثيراً عن سبب رحيلك فجأة... مررت من أمام بيتك عشرات المرات علني أراك ولكنني لم أنجح في ذلك... شاهدت سيارتك تغدو ذهاباً وإياباً أمام منزلي ولكنني لم أرك من خلف زجاج سيارتك.. كنت أسير في الشارع أنظر إلى كل سيارة تشبه سيارتك علك تكون أنت.. وهكذا إلى أن تعودت على خيبات الأمل... ذهبت أكثر من مرة وأضأت الشموع من أجل سلامي الداخلي وراحة روحي... وطلبت من الله

أن يساعدني... وقلت له: إذا كان الخير بين يديه أعده لي يا الله، وإذا كان شرّاً فساعدني على نسيانه...

قررت أن أدفنك في قلبي فأقمت لك مراسم عزاء لمدة ثلاثة أيام، مضى اليوم الأول بكثير من الدموع، ومضى اليوم الثاني بدموع أقل وبندمٍ كثيرٍ، ومضى اليوم الثالث بالصلاة على الجنازة... ودفنتك في قلبي وعزمت ألا أراك مرة أخرى... كنت أضيء شمعتك أمامي وأحدثها عن شوقي إليك وأسألها لماذا رحل فجأة... وكانت تجيبني بدموعها البلورية التي تشبه دموعي... تجيبني بصمت "كفكفي دموعك لن يعود"..

كنت أعيش بنصف حياة فروحي معك وجسدي مع أسرتي... إلى أن اعتدت غيابك... وتوقف قلبي عن الجري وراء سراب...

أخرجتُ علبة السجائر من حقيبتي، أشعلت لفافة ووضعتها بين شفتي... وأنا أحاول أن أبتلع دموعي... قلت له الآن حان دورك.. تكلم بما تشاء فلقد اعتدت غيابك، ولا تكذب فعيناك ستفضحانك... أخبرني ما الذي حصل.. لماذا رحلت ولماذا عدت؟

– رحلت لأنني أحببتك، وعدت لأنني أحببتك...

– أ بهذه البساطة تتكلم؟... قلت لك لا تكذب.. تحدث بصراحة... أنا قويّة أتحمل الصدمات، لقد كنتَ مع امرأة أخرى..

– كيف عرفتِ؟

– وما الذي يجعل الرجل يترك حبيبته إلا إذا وجد بديلاً عنها؟

– حين التقيت بك آخر مرة.. لم أنم طوال الليل وأنا أفكر فيك.. إنك امرأة مدهشة بكل معنى الكلمة... امرأة بمليون امرأة...

امرأة قوية صريحة صارمة كحد السيف... وجدت روحي تشبه روحك كثيراً.. ولكنني لم أكن مستعداً لأكون مع امرأة قوية مثلك... بت أهابك... أحبك وأهابك بذات الوقت... وحين تحدثت لصديقي مصطفى عنك.. وبّخني وقال لي مثل هؤلاء النساء لا يصلحن للحب.. هي امرأة متزوجة وقوية... إذا عرف زوجها بما بينكما سيقتلك ويقتلها.. انسحب من البداية... إنها امرأة يعشقها كل الرجال ويهابها كل الرجال.. (ولكنني لا أكترث لغيرك).

– أكمل... قلت له وأنا أدخن بشراهة وعصبية وكلما انتهت سيجارة أمسكت عقبها وأطفأته بعصبية في قلب المنفضة...

– عرّفني صديقي على لمى، و لمى هذه فتاة جميلة تصغرني بعشر سنوات... خرجنا أنا وهي أربع مرات وفي كل مرة نجلس معاً.. كنت أقارن بينك وبينها..

– مممممم وماذا وجدت؟

– أرجوك لا تقاطعيني... كانت لمى تملأ وجهها بمساحيق التجميل... تتكلم بصوت القطة كأنها تموء.. حدثتني عن العرسان الكثر الذين طلبوا يدها لكنها لم توافق على أحدهم لأنهم ليسوا أغنياء... في اللقاء الثاني سألتني متى سأخطبها من أهلها وفي اللقاء الثالث طلبت مني أن آخذها إلى شارع الحمراء لشراء ثياب فاخرة كي تستقبل أمي حين تذهب لخطبتها... وفي المرة الرابعة سألتني ألم تشتاق لي؟ كنت قد غبت عنها أسبوعين كاملين بحجة أنني مسافر، فقلت لها بلى اشتقت إليك يا عليا... صرختْ كالمجنونة:

– أنا لمى ولست عليا... ومن عليا هذه لتخطئ باسمها وأنت معي.. لا بد أنها إحدى عشيقاتك اللواتي تخرج معهن... هنا صرخت بها:

– اخرسي أيتها الحمقاء عليا امرأة ليست كالنساء... ليتك تملكين ربع عقلها وفكرها وحريتها... صرخت بي:

– اذهب إليها إذن فأنا لست للتسلية... قلتُ لها:

– نعم سأذهب إليها وأنت ابحثي عن مجنون مثلك يقبل بك... أمسكتْ كأس الماء ورمته على وجهي ورحلتْ... وعندما رحلت استيقظتُ أنا من غفوتي... وأدركت كم أحبكِ.. وندمت أشدّ النّدم على الابتعاد عنك...

– وما هو المطلوب مني الآن؟... قلتها وأنا أبتلع ريقي.. وبوجه بلا أي تعبير.. كوجه دمية بلا روح.

– وتسألينني ما المطلوب؟ المطلوب أن تعودي إلي.. أن نرى بعضنا كل يومين أو ثلاثة.. دون أن يعرف أحد بذلك... أنا أكره الزواج وأنت متزوجة ولا تريدين الطلاق فلتكن علاقتنا سرية...

– في بداية تعارفنا وعلاقتنا كنتُ مستعدة لهذا الأمر، وكنت مستعدة أن أحارب الدنيا لأبقى معك، وقلت لك حينها أريدك صديقي فقط... أريدك بجانبي نقطة نور لحياتي المظلمة... ولكن رحيلك المفاجئ زاد حياتي كآبة وحزناً وألماً... لا يمكن أن أغفر لك هجرك لي بهذه الطريقة المؤلمة... وكما هجرتني هذه المرة ستهجرني غيرها كثيراً... سوف تبقى تبحث عن زوجة لتنجب لك الأطفال وهذا حقك... ولكن أن تكسر قلبي وترقص على ألمي...

فانا لا أرضى بذلك... (كنت أتحدث والدموع تسيل من عيني كنبع تفجر فجأة بعد ذوبان الثلوج).

– ما رأيك أن أتزوج من أختك نسرين التي تعيش عندك... وهكذا نلتقي دائماً وكأننا أنسباء.. وأبقى بقربك وتبقين بقربي...؟

– ماذا؟ صرخت وقد اتّسعت عيناي من الدهشة... إنك رجل مجنون.. كيف خطر لذهنك أنه يمكنني أن أخون أختي لأراك.. أهون عليّ ألف مرة أن أتألم لفقدك ولا أتخيل أن أنفّذ صفقة بذيئة من أجل إرضاء مشاعري...

– ولكنني أحبّكِ وأريد أن أبقى بقربك...

– إذا كان هناك احتمال واحد بالمئة لأعود إليك فقد نسفتَ هذا الاحتمال باقتراحك هذا، وكم أتمنّى لو أرمي الماء على وجهك لتصحو من أحلام اليقظة التي تعيش فيها.... تبّاً لي كم أحببتك... تباً لقلبي الذي أصبح واهياً ضعيفاً بسببك... تبّاً لروحي التي عشقتك حتى الثمالة... إنني أستحق كل هذا العذاب الذي قاسيته من أجل رجل لا يستحق.

كنت أتكلم وأبكي وأشهق وكان كل من في المقهى ينظرون إلينا، ولكنني لم أكترث لنظراتهم. وقفت أزحت الكرسي أريد الرحيل.

– أرجوك لا ترحلي... انتظري لأطلب الحساب...

– وداعاً... قلتها بعينين دامعتين وقلب منفطر وصوت متهدج.

ورحلت... أوقفت سيارة تكسي صفراء اللون، رأيته على باب المقهى يحاول أن يسرع ليلحق بي... نظرت إليه بعينين دامعتين... وكنت أعتقد أنها المرة الأخيرة التي سأراه فيها.. طلبت من

السائق أن يأخذني إلى الكنيسة حيث أصلّي دائماً، وأمسكت جوالي.. أول شيء فعلته أنني حظرت أرقامه وحساباته على مواقع التواصل جميعها.. أزلت صوره من ذاكرة الجوال، "لقد كسر قلبي مرتين".. ذهبت إلى الكنيسة صليت وبكيت وأضأت شمعة واحدة من أجلي فقط... ولم أضئ له شمعة بعد أن أطفأ شمعة قلبي... بكيت كثيراً وكأنني فقدت عزيزاً... وعدت إلى بيتي بقلب نظيف... نظيف منه ومن غيره، قلب مكسور ممزق... ضممت أولادي وقلت لهم لقد عدت إليكم... أمسكت أختي الصغيرة نسرين من يدها وقلت لها لقد جاءك عريس هذا اليوم يا صغيرتي...

– من هو يا أختي؟ قالتها بغنج..

– لا يهم من هو يا حبيبتي فأنا لم أوافق عليه لأنه يريدك من اجل صفقة دنيئة.

– لم أفهم... قالتها باستغراب وقد فتحت عينيها السوداوين الواسعتين.

– ستفهمين في الوقت المناسب.. عليك فقط أن تهتمي بدراستك ومستقبلك. سأصنع القهوة ونشربها معاً...

نظرت أختي نسرين إليّ باستغراب كما فعلت ابنتي شمس، وقد شعرتا بأنني عدت إليهما بعد طول غياب... وكان طيف سام يلاحقني... لكنه لم يكسرني هذه المرة.

وبعد مراسم الدفن والكثير من الدموع ونزيف الروح على الورق... بعد الكثير من العهود والوعود مع نفسي بأن أترك حبه.. وأعود... نعم أعود فأنا بعشقه كنت غائبة ولكن الحياة لا تكون حياة

إلا فيه... وروحي المنهكة بحبه كانت تهرب مني لتذهب إليه... بعد كل الوجع والألم الذي سبّبه لي، وبعد كل العهود والمواثيق التي أخذتها على نفسي بأن أتركه، عاد إليّ... رنّ الجوال من رقم غريب، أجبت، وكان هو حبيبي سام... قفزت كالغزالة إلى الشرفة لأحادثه.. فأنا لا أريد أن يرى أحد لمعة عيني.. تهدج صوتي.. قلبي الذي ينبض كالطبل وأنا أحادثه...

وجاء صوته ليشعل جمر قلبي من جديد... بعد أن هدأ قليلاً... طرت من الفرح وكم أخشى أن أكون فراشة تبتهج بنار ستلتهمها... وهو النار وهو النور... آه كم أحبك يا وجعي الدائم... وأعرف أنه يشعر بذلك دون أن أهمس به... إني أحبك.. احبك...

وحين طلب موعداً للقائي... كانت أجراس العيد تقرع في معبدي... وأنا التي أخذت كل العهود ألا أراه من جديد... وحددنا الموعد...

جاء يوم اللقاء وكان قلبي منقبضاً... كيف سأمثل أمامه بأني لا أعشقه... مشتاقة له كثيراً وحبي كبير... ولكن جرحه الذي رسمه على جدار قلبي كبير أيضاً... يا لهف نفسي ماذا فعل بي... وكيف سيكون اللقاء؟

تأخر عن موعده كالعادة وأنا الدقيقة في مواعيدي كساعة بيغ بن.. انتظرت وانتظرت، اتصلت به... لم يجب... واتصلت به ثانية ولم يجب... تمزق قلبي... فكرهت نفسي... عزمت التوقف عن الانتظار والعودة إلى البيت... نعم سأعود خائبة... سأغلق باب غرفتي وأبكي كثيراً... وباتت الأسئلة ضباعاً تلتهمني... لماذا

عاد بعد أن وأدته في قلبي إذا كان سيتركني من جديد... عيناي خلف النظارة السوداء تسيلان حزناً عليّ... وأنا الكوكب الذي أضاع مداره حين اصطدم فيه.

لا أعرف كم شخصاً مرّ بجانبي وألقى التحية دون أن أراه أو أجيبه.. فأنا لا أرى سواه.. وطريق أسود أمامي لا ينتهي إلّا منه وإليه... ورغم ذلك لم أشتمه ولم أحقد عليه وطلبت من الله أن يسامحني ويسامحه... كنت أقف أمام مأتم قلبي... وحبيبي الكفن.. مضت نصف ساعة على الموعد المقرر... كانت كفيلة بقتلي... آه منك... كم مرة ستقتلني...؟

وجاء صوتك بعد كل هذا الوجع... أين أنت أنا بانتظارك؟

– أنت تجيد هذه اللعبة كما كلّ الرجال، تجيد أن تقلب كفة الميزان لصالحك رغم أنك المخطئ... أنا عائدة إلى بيتي... جاءك صوتي متهدجاً غير قادر على إخفاء حزنه...

– أنا أنتظرك أمام بيتك تماماً...

– لنؤجل اللقاء ليوم آخر... (وأنا التي قبل قليل كنت أعد نفسي أن أنهيك من حياتي، لماذا أضعف أمام صوتك... بل أمام عشقك؟).

– لا لن نؤجل، أين أنت؟ أنا قادم إليك...

– أنا... هنا... واستكنت وقبلت أن ألتقيه بعد نصف ساعة من الانتظار، أنا التي أخذت الكثير من القرارات المصيرية في حياتي بسبب عدم الدقة في المواعيد.. أغفر له وألتقيه من جديد... ربما كان شوقي إليه أكبر من كل الأحزان... ربما لا أريد أن أضيع

فرصة لقائه... ربما وربما و ربما أيقنت أنّ هذا اللقاء هو آخر لقاءٍ معه...

– .. كنت أختلس النظر إليه من خلف نظارتي السوداء... أقول لنفسي: كيف سمحت لهذا الرجل أن ينزلني عن برجي العاجي...

... يا لهف نفسي على نفسي كم حاولت أن أبدو طبيعية أمامه بقلب خالٍ من أية مشاعر

وصلنا إلى مقهى جميل... جلست مقابلة له كالعادة فأنا أعشق أن أتلصص إلى تفاصيل يديه الناعمتين الصغيرتين... وإلى عينيه اللتين أتذوق عسلهما كلما أجلس معه...

حاولت أن أبقي ذاكرتي يقظة وأتذكر جفاه وكل الآلام التي سببها لي... حاولت أن أبقي القناع على شخصيتي لأكبر قدر ممكن... بل كلانا كان يرتدي الأقنعة... هو لم يكن هو، وأنا لم أكن أنا، ولو كنّا بلا أقنعة لصرخت به: أحبك أعشقك واشتقت إليك كثيراً وبكيت كثيراً بسبب جفائك لي...

لو كنّا بلا أقنعة لقال لي: وأنا أحبّك واشتقت إليك ولكنني قررت الابتعاد عنك خوفاً عليك... نعم كلانا مشتاق، هل تعرف لماذا أنا متأكدة من ذلك... لأن لغة الأرواح لا تخطئ... روحي التي أرسلها إليه كل ليلة قبل النوم تخبره بحبي قطعاً... ولربما شعر بها وهي تطبع قبلة على جبينه...

لأوّل مرة أرى الحزن في قلبه، لأول مرة يخبرني أنه يرى الحياة فارغة... ليته أكمل عبارته وقال لي إن الحياة فارغة بدوني، كنت أريد أن أجيبه أن الحياة ليست فارغة لأنك فيها... ولكنني

كنت أفضل أن أبقي قناعي عليّ... فأنتم معشر الرجال تحبون الأقنعة...

كنت أتمنى أن يقول لي: إن الحياة فارغة لأنني لا أستطيع أن أصرّح لك بحبي اللامنطقي... وكنت سأقول له بل هو منطقي جداً وليس بيدنا... هي أرواحنا التي تآلفت قبل أن نتآلف وتعارفت قبل أن نتعارف...

كنت أتمنّى أن يتوقّف الزمن وأنا بقربه... أن يفنى العالم... أن تقوم القيامة.. أن تحدث هزة أرضية وأحتمي به... لكن كل ذلك لم يحدث وحان موعد الرحيل... بتّ أكثر جرأة لأن أنظر إليه، وجدته نحيفاً مثلي... قامته تشبه قامتي ولون بشرته تشبه لون بشرتي وعسل عينيه كعسل عيني.. وكفه الصغير بحجم كفي... بحثت عن أشياء تجعلني أكرهه ولم أجد... جلست بقربه في السيارة وكنا نتحدث وأنظر إليه... وأخبرته عن سرّي الدفين...

كان صامتاً كجبل وكنتُ ناراً مشتعلة بحبّه... كنت أتمنى أن يطول الطريق أكثر وأنا أحدّثه عن عشق الأرواح... ولكننا وصلنا... وكانت آخر كلمة ككل مرة للأسف قد وصلنا... ولكنّها هذه المرّة كانت الأخيرة بالفعل.

* * *

فنجان القهوة الحادي عشر

رنّ جوّالي، إنها صديقتي سمر التي لم أرها منذ عام تقريباً، سمر هي صديقتي وكانت زميلتي في العمل في مكتب البريد لكنها استقالت منذ عام، ومنذ ذلك الوقت لم أرها، إنما نتواصل عبر الفضاء الأزرق على الجوال...

– مرحبا يا علياء.

– أهلاً سمر...

– أين أنت؟

– أنا في العمل هل هناك شيء؟

– نعم خذي إجازة ساعية وتعالي فوراً هناك أمر هام عليك أن تعرفيه ولا أريد أن أخبرك عنه على الجوال.

– لقد شغلت بالي، قولي ما تريدين.

– تعالي لن ينفع الكلام عبر الجوال.

– سآخذ إجازة ساعية وآتيك، جهزي القهوة.

– بالانتظار...

كان قلبي يخفق بسرعة وأنا أضرب أخماسي بأسداسي، ترى ماذا تريد سمر، هل لسام علاقة بالموضوع؟

قرعت باب شقتها، كانت بانتظاري...

– أهلا علياء، يا إلهي كم أنت نحيلة؟ ما الذي حل بك؟

– لا شيء مهم أخبريني أنت فقد شغلت بالي.

– هيا لنجلس وأحدثك مع فنجان القهوة، فما سأحدثك به قد يزعجك.

– تفضلي.

– سأسلك سؤالاً وأجيبيني عليه بصراحة.

– تفضلي.

– هل لسام علاقة بنحولك هذا؟

وقع السؤال كضربة صاعقة فوق رأسي، فما بيني وبين سام لا أحد يعلم به كما كنت أظن، شعرت بقلبي قد انشطر نصفين، وأجبتها عن أي سام تتحدثين.

– سام يا علياء، سام رجل الأعمال الذي ساعدته بإرسال أوراق تخصه إلى الحسكة، سام يا علياء.

– لا – ليس لسام هذا أي علاقة بما آلت إليه صحتي فأنت تعلمين بمسؤولياتي الكثيرة بعد وفاة زوجي ومسؤولية الأولاد وأختي نسرين.

– أرجو أن يكون كلامك صحيحاً يا علياء وهذا يسهّل عليّ ما سأخبرك به.

– إنك تلعبين بأعصابي، قولي ما لديك.

– يوم أمس جاء أخي شادي وسألني عنك، وشادي هو صديق لسام، التقيا في بيروت، ودار بينهما حديث عنك.

– عني أنا؟

– نعم عنك أنت. طلب سام من أخي شادي أن يسألني عن أخبارك، وأن أعطيه رقم جوّالك، لأنه يريد أن يطمئن عليك.

استغرب شادي من حماس سام ولهفته لمعرفة أخبارك، فسأله ما قصتك أيها الرجل؟

– قال سام لأخي شادي: لقد ظلمت هذه المرأة وأريد أن أعتذر منها، فقد كانت علياء قد وجهت ضربة قاصمة لشخص يدعى شاهر تحرّش بها، كنا نتحدث أنه ليست كل النساء رخيصات، فحدثنا شاهر عن علياء كيف هزأته أمام جميع الموظفين، فقلت له أنا أتحداك بأنني سوف أتحدث معها وأخرج معها أيضاً.

وبالفعل وجدت فكرة إرسال أوراق مهمة إلى الحسكة فكرة جيدة لأتعرف إلى علياء، بالفعل هي امرأة مدهشة، ولأنها صادقة وعفوية أحبّتني، ولا أخفيك بأنني أحببتها أنا أيضاً وندمت على فعلتي، كنت أسافر وأعود أملاً بنسيانها لكنني لم أنجح، هذه المرأة مدهشة بكل معنى الكلمة ونقية وبريئة كقطرة المطر، لقد تقّدمت بطلب الزواج من أختها ورفضتني كي لا تخون أختها، والآن قد توفي زوجها، وأفكر بالعودة إليها، رغم أنها تكبرني...

– لم أجب، هي ليست صاعقة... هي ضربة قوية على رأسي الصغير... وهل سام في المدينة الآن؟ سألتها بصوت متهدّج؟

– نعم لقد جاء مع شادي يوم أمس، ويريد أن يراك ويعزيك بوفاة زوجك.

– شكراً لأنك أخبرتني، والآن اسمحي لي أن أذهب إلى بيتي.

– سامحك الله يا علياء، أنت امرأة نقية، وكلنا بحاجة للحب في كل مراحل الحياة، ولا سيما حين يخوننا المحيط، فلا تندمي أنت كنت صادقة، وهو ندم أيضاً عندما رأى ما فيك من نقاء.

– أرجوك دعيني أذهب، أريد أن أختلي بنفسي قليلاً... فأنا متعبة...

خرجت من بيت سمر، كان قلبي مفتتاً وكأنه صخرة قد سقطت من علو عشرة طوابق إلى سطح رخامي... رحت أسير في الشوارع على غير هدى، الدموع تسيل من عيني، سام قادم بسيارته المرسيدس السوداء، لم يلمحني لكنني رأيته وتأكدت من نمرة سيارته التي حفظتها عن ظهر قلب وأنا التي لم أحفظ رقم سيارتي، لا بد أنه يستمع إلى أغنية ما ويتحدث على الواتساب كعادته، طفل على دراجته الهوائية يقطع الطريق، تضربه سيارة مسرعة وتولّي هاربة، هرعت إلى الطفل لإنقاذه كنت الأقرب إليه، توقفت إحدى السيارات وأخذناه معاً إلى المستشفى، كانت حالة الولد خطيرة جداً... دخل غرفة العناية المركزة وجاءت الشرطة لاستجوابي واستجواب السائق الذي أسعف الطفل...

– من منكم رأى الحادث؟

– أنا رأيته أيها الشرطي.

– وهل رأيت السيارة التي صدمته؟

– نعم رأيتها فأنا كنت قريبة جداً..

– ما مواصفات السيارة؟

– إنها سيارة مرسيدس سوداء ونمرتها (.....) كانت مسرعة وكان السائق يتحدث على الجوال، صدم الطفل وولّى هارباً دون أن يتوقف أو يفكر حتى في إنقاذ الطفل.

– هل أنت متأكدة من أقوالك وتوقعين عليها؟

– نعم متأكدة.

– هل أنت مستعدة لأن تشهدي بالمحكمة إذا استدعتك..

– قلتها بكل قوة: طبعاً.

هل الانتقام سيخفف من نيران قلبي؟ أراه يزيدها اشتعالاً وقلبي يزداد ضعفاً، لم يتوفّ الطفل ولكن أهل الطفل لم يسقطوا حقهم وكان عليّ أن أقف كشاهد أمام المحكمة لأقسم بأنني رأيته يضرب الطفل بسيارته.

– حين دخلتَ إلى قاعة المحكمة مقيّد اليدين وأنا التي اعتقدت أنني سأشفي نيران قلبي منك، كدت أن أركض لأعانقك.

– طلب القاضي الصمت من الجميع، واستدعيت إلى منصة الشهادة، كانت قدماي ثقيلتين جداً وكنت هزيلة جداً، وأرتجف فساعدتني صديقتي المحامية على الوقوف. الشاهدة علياء نجمة. هل تقسمين على أنك شاهدت السيارة التي تحمل الرقم.... وهي تضرب الطفل في دمشق قرب حديقة التجارة بتاريخ 2019/3/12 الساعة الواحدة ظهراً.

– نعم أقسم... قلتها وقلبي يتمزق... بينما كنت انظر إلى عيني سام اللتين طالما أحببتهما. حكم القاضي عليه بشهرين... لم يصرخ ولم يقل الله يسامحك يا عليا، كان جميلاً بهياً كعادته حتى وهو خلف القضبان. وقد شممت رائحة الانكسار قد حلّت محلّ رائحة العطر...

من قال أنني أريد أن أراه منكسراً، رغم ما سببه لي من ألم، صرخت بالقاضي، إنه بريء أيها القاضي، وأنا كاذبة كاذبة... كنت أصرخ بصوت عال، أنا كاذبة كاذبة، سمعت ابنتي شمس صراخي، فهزتني بشدة كي أستيقظ وشكرت الله أنه كان كابوساً.

* * *

فنجان القهوة الأخير

قالت لي عليا:

صديقتي منى أريد منك طلباً أخيراً..

سوف أبعث لك بملف على حاسوبك، كتبت فيه كل الرسائل التي كنت أكتبها لسام ولكن لم أكن أجرؤ أن أرسل أيّاً منها إليه، وأنت الوحيدة المؤمّنة على ذلك، هاك رقمه، وعندما أرحل عن الدنيا اتّصلي به وأرسلي له الملف كيفما تشائين.

قلت لها: ابعثيه أنت يا عليا.

قالت: لا أستطيع، لقد رحل فجأة عن عالمي وقد تركني بكل هذا الاحتراق، لن أتنازل أكثر، أرجوك لا تبعثيه قبل موتي.

عدت إلى بيتي أتحرق لقراءة ملفات عليا التي تريدني أن أرسلها لسام، فتحت حاسوبي على الملف الذي أرسلته عليا:

* * *

الرسالة الأولى:

كجناحي فراشة كلما أمسكتها استحالت يباباً، هكذا هي أطيافك التي لا تنفك عني، أراك في لون الغيوم، وفي عبير الياسمين وفي رقة النسائم، تحيط بي كقدر لا مفر منه، خيط من نور تنساب إليّ ملامحك وأنا قابعة في ظلمة الفراق فأتشبث بك كغريق متعطش لجرعة هواء فلا يزيدني إلّا وجعاً.

لماذا رحلت؟

لقد كنت نقياً وجميلاً كسحابة صيف عابرة. وكم أنا عطشى لتلك السحابة...

أتجرّع ذكراك حين جلست أمامي في المقهى وحدثتني عنك، عن ابنة خالتك وعن عملك وآمالك وأسفارك ومعاناتك... كنت أنظر إليك وأحدث نفسي قائلة: ليت الزمن يتوقف هنا لأننا لن نلتقي من جديد... كنت أنظر في عينيك بخجل وأقول لنفسي كم أعشق هاتين العينين... وكثيراً ما كان دخان النرجيلة يقف عائقاً بيني وبينك فكنت أسترق النظر إليك بتمعن وأحدث نفسي: حتماً إنك ملاك استوطن الأرض بالخطأ..

آهٍ وألف ألف آه... وهكذا أعلنت وفاة قلبي سريرياً، أعلنت ذلك بصوت عال ولكن الحقيقة إني وأدته وهو ما زال حيّاً ينبض بك...

* * *

الرسالة الثانية:

إنها تلك الذكريات التي تشبه لون غروب الشمس قبل المغيب... تباغتنا على حين غرّة تعود بنا إلى ساعات خلت ولن تتكرر... هي الحسرة العائدة من الماضي.. ذكريات تربطنا بها تلك اللحظات والكلمات التي لا تنسى، أولئك الأشخاص الذين تركوا بصمة جميلة في أعماق أرواحنا..

ومضة فرح ما لبثت أن أشرقت حتى شرعت بالغروب.. كأنها تخلت عنا.. نسيت مداراتها وأضاعت درب التبانة وتركتنا في عتمتنا... ليت أرواحنا قادرة أن تعيد للشمس نورها. وللملائكة براءتها المستترة بالخوف.

تتحول الثواني إلى ساعات مليئة بالأمل والشوق، كل ما أريده هو جواب شاف، لماذا أتيت ولماذا رحلت؟

* * *

الرسالة الثالثة:

كنت أتعجّل الخروج من عملي لأسير في الشارع علني أراك، وحين أصل إلى بيتي أحس بخيبة الأمل... أدقق في أنواع السيارات وفي وجوه المارة، وكلي أمل بلقائك، أستمع إلى أغان تشبهني وأحاور نفسي، هذه منك لي، والأخرى لك مني، كل ما أعرفه أنني يجب أن اخرج منك وعنك.. يجب ذلك...

يؤلمني ما آلت إليه نفسي بعد أن التقيت بك... يؤلمني أنك أشعلت النار في جليد قلبي ورحلت بصمت... أعرف وأنا على يقين انك بادلتني الشعور لفترة ما، ولكن ما الذي حصل بعد ذلك.. وضعت الكثير من المبررات والتبريرات، وكلها لم تكن مجدية لتطفئ نيراني... كنت أقبل صورتك آلاف المرات في اليوم الواحد وقبل أن أنام أرسل روحي إليك... ولا أخفيك أنها كانت تعود إلي وتصفعني على وجهي قبل أن تنزل في جسدي وتقول لي استيقظي من غفوتك، إنه ليس لك...

أعرف جيداً أنك لست لي، وأنا لا أريدك أن تكون لي... روحك التي عانقت روحي في السماء كانت تشتهي وصالها على الأرض.

لم أكن أريد أن تقول لي أحبك، كنت أريد اهتمامك فقط يا وجع روحي.

* * *

كل شيء يموت بالإهمال، الوردة تموت بالإهمال، الصحة تموت بالإهمال، حتى الشغف يموت بالإهمال، فلا تتركني على شرفات الحنين، حتى الانتظار له مدة صلاحية لا تكون مطبوعة

على القلوب كالموجودة على علب الشوكولا، بل مطبوعة في ثنايا الروح...

لا تهملني كي لا تخسر شغفي بك، فربما ستعود ذات خيبة لتجد القلب الذي تعب من انتظارك قد رتق ندوبه المشروخة بك وختمها بالشمع الأحمر.

عد بسرعة فروحي متعبة بدونك.

* * *

الرسالة الرابعة:

يعضّني الشوق كذئب مفترس، ينشب أنيابه في قلبي الذي يرتجف تحت وطأة الحنين... أشعر بالعجز فأنا غير قادرة على فعل شيء، روحي مسلوبة بك، فأنا لا أستطيع الصراخ، فلا أستطيع إلا التألم بصمت، وفي كلا الحالتين سيبقى الشوق إليك جرحاً نازفاً في صدري... وإني أحبك رغم كلّ الألم.

روحك التي سكنتني وأوجعتني وأبعدتني عن عالمي، لم يكن أمر قبولها من اختياري.

ربما وجدت مكانها فارغاً فجلست فيه بكل راحة، ربما وجدت قلباً متعطشاً فروته بفرحها... ثم ابتعدت.

روحك التي ظننتها هدية من الله قد عذبتني وآلمتني وجعلتني أتخبط في بحور الحنين والغربة والضياع والتمزق... روحك جعلتني أغرق وسادتي بالدموع، جعلتني أكرر السيناريوهات التي جمعتنا والأحاديث التي دارت بيننا آلاف المرات، ورغم كل الوجع الذي سببته لي، فأنا أعشقك.

* * *

الرسالة الخامسة:

بكل الرضا والتسليم لرسائل الله إلينا، هذه الرسائل التي قد تأتينا على هيئة أشخاص.

أشخاص يزرعون الزهور في بستان روح قاحلة ثم يرفرفون ويغادرون مع الطيور المهاجرة، تاركين خلفهم حديقة غنّاء تتوق لتغريدهم فوق بتلات أزهارها، يغادرون تاركين شوقاً في قلوب الأزهار، لكن هذه الحديقة قد أصبحت واحة وارفة الظلال لن تذبل برحيلهم، بل ستزهر أكثر وتعلو نخلاتها حتى تقبّل خدود السحب القادمة فربما أضعت طريقك ذات يوم فلتكن أشجاري هي المنارة لروحك التائهة في زحمة الحياة يا أنت يا رسالة من الله إلي، ولتكن كفارة ذنوبي كلّها على يدك وإني أحبك.

* * *

الرسالة السادسة:

هل سيكسرني غيابك يا حبيبي.. نعم.. حبيبي أنت منذ أجيال خلت وستبقى إلى نصبح روحين هائمتين في السماء... ولكن وبعد ما حصل قررت أن أعلن الحداد على قلبي الذي كنت تسكنه وبت كفنه...

اليوم الأول: انقضى بكثير من الدموع...

اليوم الثاني: انقضى بصمت طويل والكثير من الدموع...

اليوم الثالث: وضعت صورتك أمامي وتحدثت معك بصوت عالٍ وبصراخ... عاتبتك كثيراً... صرخت بك.. لماذا تفعل هذا بقلبي؟ لماذا تعيد اللهيب للرماد المطفأ ثم تتركه لوحده في

الاحتراق... لماذا روحك تعذبني في كل الأجيال... يا الله ساعدني على راحة روحي... لقد تعبت حتى صرت أعيش في حياتين.. حياة مع أسرتي وعملي وحياة معه... إن طيفك يلاحقني ويتبعني ويسكنني يتغلغل في خلاي جسدي المنهك منك...

ولكنني سأفضل الصمت وسأفضل كسر قلبي...

* * *

الرسالة السابعة:

كقطعة كريستال تسقط من علو خمسة طوابق إلى سطح من رخام... هكذا تشظى قلبي حين ارتطم بك... فكيف له أن يعود لأكمل مراسيم الدفن...

ها هي مراسيم العزاء تنتهي... اصطف المعزون بأناقة خلف بعضهم البعض... أخذوا يعزونني ويتمنون لي الصبر والسلوان... أكثرهم قد حفظ هذه الجملة عن ظهر قلب دون إحساس بها، والمقربون مني تمنوها لي من أعماق قلبهم...

وحدي فقط من كان يعرف الحقيقة.. وحدي من يعرف أن قلبي لم يمت ميتة طبيعية، فقد وأدته بيدي هاتين وهو ما يزال حيّاً، ولففته بكفن الصبر والسلوان، مزقته إلى نويات صغيرة، ودفنت كل نويّة منه في خلية من خلايا جسدي... لتتحد من جديد مع البروتونات والنترونات وتسير مع خلايا الدم البيضاء والحمراء...

كنت أقف في مراسم الدفن بوقار، بينما كانت الجنازة تأكلني من الداخل...

رحمك الله يا قلبي... والصبر والسلوان لك يا روحي...

* * *

الرسالة الثامنة:

السماء غائمة تشبه قلبي... الشمس تحتجب خلف سحب ربيعية... تشعر كأن آلاف الأرواح هائمة في السماء.. شعرت أن روحي معهم رغم أن جسدي يسير على الأرض...

أنت بارد كالثلج، وأنا بركان يتشظى حمماً، هل ثلجك قادر على إطفائي، أم نيراني قادرة على تذويبك؟

لم تعد تعنيني النتيجة... المهم أن تبقى بخير أولاً، وأن تبقى ملهمي ثانياً، ولديّ يقين أنك مهما ابتعدت ستعود لتطير في سمائي أنا وحدي... كما جئت أول مرة... وقررت أن أحبك بفرح، ولن أكترث للنتيجة... وأنا أحبك.

* * *

الرسالة التاسعة:

واختفيت عن عالمي شهرين آخرين... شهرين كانا كافيين أن أصبح هيكلاً عظمياً، كنت أعرف أنك على قيد الحياة، وأنا على قيد الألم، وغير ذلك لم أعرف ولم أحاول أن أعرف، لأنني كنت أشعر بأنني إذا سألت أحداً فسيقرؤونك في عيوني...

كنت أسير في الطريق هائمة، أبحث عنك وسط الزحام، أبحث عنك في وجوه المارة، ولا أجدك إلا في قلبي... قلبي الذي مزقته بيديك، قلبي الذي ملأته بالشروخ، شروخ قلبي لا أحد يرتقها غيرك، ندوب قلبي لا أحد يشفيها غيرك، شقوق قلبي لا أحد يملؤها غيرك... آه وألف آه منك.

وبت مقتنعة تماماً بأنك عقوبة من الله إليّ، عقوبة ستكتب

نهايتي على يدها، فها أنذا قد وصلت إلى أعلى درجات الحب، فأنا متيمة بك، ولو كنت معي لأصبحنا خليلين جميلين.

* * *

الرسالة العاشرة:

هل تعشق الأرواح؟

بالطبع تعشق الأرواح، وحين تعشق الأرواح يموت سلطان الجسد... وينتصر سلطان الروح... الروح التي تحلّق في سماء المعشوق وتبقى بقربه... تأبى أن تفارقه.. وإذا ابتعدت المسافات كثيراً بينهما فإن روح العاشق تنشطر نصفين.. نصفها مع صاحبها ونصفها الآخر يرحل مع المعشوق.. فيتعذب العاشق عذاباً لا يوازيه إلا عذاب أمٍّ ثكلى...

نعم تعشق الأرواح عشقاً روحانياً خالصاً يترفع عن سلطان الجسد ورغباته، فيصبح اللقاء بالمحبوب أو سماع صوته شفاء للروح العليلة العاشقة.

* * *

الرسالة الحادية عشرة:

ها هي الدموع تبلل الوسادة من جديد، كلما حاولت أن أمحوك من قلبي يحترق قلبي مجدداً، قلبي الضعيف الذي يحتاج إلى عملية قلب مفتوح، قلبي الضعيف المحفور اسمك ورسمك على شغافه، كم زرت المعبد القريب حتى يساعدني الله كي أنساك، وتذكرت قيس، قيس مجنون ليلى الذي حين مرض بحبها أخذه والده إلى الكعبة وقال له: ادعُ الله أن يشفيك من حبها، فذهب

قيس وتعلّق بأستار الكعبة وقال: "اللهم زدني لليلى حبّاً وبها كلفاً ولا تنسيني ذكرها أبداً". هكذا فعلت أنا عندما زرت المعبد لأنساك ووجدتني أدعو الله أن يزيدني من حبك أكثر وأكثر...

* * *

الرسالة الثانية عشرة:

ليت بمقدورنا أن نعود غريبين بعد أن ارتطمت بك... أريد أن أقبض على حياتي من جديد... أريد أن أستعيد منك أنفاسي... أريد أن أعيد للساعة انتظامها... ولأيام الأسبوع ترتيبها... وللأبجدية حروفها... فمنذ عرفك قلبي بات يحتاج إلى حروف جديدة كي يكتبك... وألوان جديدة كي يرسمك... وقلباً جديداً كي يزداد اشتعالاً بك...

* * *

الرسالة الثالثة عشرة:

كم هو قاسٍ ومرّ بعدك عني!

رغم كل ما فعلته بي فأنا أعشقك...!

هل جفّ بحر الحبّ من حياتنا؟

هل هو زمن الموت والحقد والدمار فقط؟

هل هو زمن الزيف والتزوير، ولا مكان للنقاء والصدق؟

كيف يمكنني أن أقنعك كم أنا صادقة ونقية معك، مع أن كل شيء في الكون قد تغيّر، فربما كل شيء يكون زائفاً، أستطيع أن أغيّر لون شعري ووجهي، حتى عينيّ أستطيع تغيير لونهما.

يجب أن تعلم أن سريان الحب في قلبك نعمة تحسد عليها فلا تتكبر، فقد تندم بعد فوات الأوان.

أنت الوحيد الذي أعطيته كل هذا الحب في هذا العالم، أنت الوحيد الذي ملأ قلبي ندوباً وأعشقه...

أنت وحدك حبيبي.

* * *

لا يمكنني أن أسلخك من قلبي دفعة واحدة... ولكنك لا تسكن قلبي فقط فأنت تسكن كل خلية من خلايا جسدي...

قل لي كيف يمكنني أن أسلخك من خلايا جسدي ومن مساماتي الكبيرة والصغيرة... ومن كريات دمي البيضاء والحمراء...

كيف سأسلخك من روحي وعنها... لا بد أن أنزعك عني بالتدريج... دفعة دفعة... سأنزعك عن أظافر أصابعي... سأنزعك عن عيني فلا أراك في كل شخص... سأنزعك عن روحي فلا أرسلها إليك كل ليلة قبل النوم... سأحاول ألا أجعلك بطلاً لأحلامي... ولكن كيف سأنسلخ عنك... أخبرني أرجوك.

* * *

الرسالة الرابعة عشرة:

يا له من شعور قاتل... أن تهوى من لا يهواك... أن تعشق من لا يعشقك... أن تشتاق لمن لا يشتاق إليك... شعور قاتل أن تشعر أن روحك تنسلخ من جسدك وتذهب إلى نصفك الآخر... تعانقه... تقول له أحبك.. ويقابلها بكل برود...

ما أصعب هذا الحب اللامنطقي الذي جمعني بك... ولكن هل للحب معايير؟

هل للروح حين تجد نصفها الآخر معايير؟

عشقتك روحي والأمر ليس بيدي...
تبّاً لأنفاسي التي تحترق كلما ذكرتك..
تبّاً لقلبي الذي يموت حنيناً إليك...
تباً لعمري الذي يذوب بين يديك...
ألهمني الصبر يا الله.

* * *

الرسالة الخامسة عشرة:

حين يتعب الشوق روحي، وينهكها الكتمان.. أرسلها إليك على جناح الأثير.. تهمس في أذنك: أن اشتقت إليك... تضع سبابتك في أذنك وتظن انك تهذي... تجفل قليلاً.. فتستغل روحي الفرصة لتطبع قبلة على جبينك اللجين وتعود إليّ بعد أن تركتك في حيرة من أمرك...

تعذّب روحك بصمتك وتعذب روحي بصمتك... كلانا يهوى الصمت.. كلانا مقيّد بجنازير الواقع.. كلانا متعب... وأحبك...

* * *

الرسالة السادسة عشرة:

لعلّي وجدت وطني في قلبك...
لعلي وجدت السكينة في قلبك...
لعلي وجدت بعضي في قلبك..
فتنادت أجزائي أن التئمي...
فتجمعت هناك في قلبك...

ولكنني أفضل الصمت.. فلا الاهتمام يطلب ولا الود يشحذ.. فليس عليّ أن أبهرك لتحبني وأذكرك بوجودي... فالحب يحدث حين تشعر أن الذي أمامك مفرط في عفويته مثلك ..

... ومع كل أقنعتك أحبك...

* * *

الرسالة السابعة عشرة:

لم أكن في يوم سعيدة مثل ذلك اليوم... العصافير جذلى تزقزق بفرح، والشمس ترسل أشعتها إلى شبابيك العاشقين رغم برودة الجو... لم أكد أشرب شفة من قهوتي حتى غبت عن الوعي.. انطلقت روحي في مدار لولبي معتم لكن بصيصاً من النور في آخره.. لا زمان ولا مكان... حقول من النور فيها الكثير من الأرواح الجميلة.. لكنك كنت أجملها.. اقتربت مني... عانقتني... قلت لي لم يحن دورك بعد لماذا أتيت الآن؟

قلت لك: ولكنك لا تزال على الأرض لماذا أنت هنا؟

قلت لي: انظري جيداً واعرفي من كنا.. هيا لأعيدك إلى جسدك الأرضي فوراً.

كان جسدي مرهقاً من رحلة بعيدة، العرق يتصبب مني.. كنت أردد جملة واحدة: لا تتركني مرتين...

صرخت ابنتي: أماه ماذا بك؟

قلت لها: اشكري الله أنني عدت إليكم..

أما أنت فقد ارتحت حين عرفتك ماذا كنت في جيل سابق، ولكنني لم أدرك ماذا ستكون.. وتحت أي لقب سأناديك... ولكنك

بكل الوجوه جميل وبكل الحيوات جميل وبكل الألقاب جميل.. وبكل الحيوات سأحبك.

* * *

الرسالة الثامنة عشرة:

ما زال قلبي يدق الأجراس في معبدك...

ما زال يعيش على أمل اللقاء...

ما زال يصلي تراتيل عشقك...

ما زال يتركني وحيدة كلّ ليلة ليذهب إليك، ليطمئن أنك ما زلت تعبث به..

ما زال قلبي بيدك

سيبقى قلبي بيدك

كن بخير دائماً كي لا يموت هذا القلب.

* * *

الرسالة التاسعة عشرة:

أصابعك التي التفت على جرحي... هي ذاتها التي عانقت كفي يوماً... وغرست أظافرك فيه... وضحكتَ فرحاً من ألمي...

هل تراك حققت نصرك حين رقصت على وقع طبول قلبي؟

ولكن يا حبيبي..

جرحي تحول إلى قصيدة...

وقلبي الذي اهتزّ ألماً بك هو نفسه الذي اعتاد خدوشك، وراح يرقص زهواً فوق كلّ مرتفع... وأنا التي تتقن تحويل الأوجاع إلى ريش ينبت في أجنحتي لأطير وأطير... في زمن الخيبات...

شكراً للآلام التي تجعلنا نسمو...
وشكراً لآلامك التي وشمت قلبي...
وإني أحبك...

* * *

الرسالة العشرون:

حبيبي:

لا أدري لماذا كل هذا العذاب وهذه القطيعة، هل بعثك الله لتعذبني، ولتتعذب بي؟

هل هو لهيب الحب ذلك الذي يشتعل في قلبي، أم بعض من نيران جهنم تحرق قلبي؟

لماذا يفعل الله بي ذلك وهو أرحم الراحمين؟

أحتاج أن أكون معك لحظة بلحظة... أشتاق إليك وأتحرّق شوقاً كطفلٍ أضاع أمه في السوق.

أنا على يقين أن وجودك في حياتي سيحدث خللاً في منظومة الحياة التي أعيشها، ولم يكن ليتقبلك أحد ولكنني كنت مستعدة أن أواجه العالم بك ومعك... وها أنت تتركني وحيدة في مهب الريح... كريشة تلهو بها العواصف كيفما تشاء.

أنا متعبة بك ومنك، وأعتقد أنه يكفيني هذا القدر من الألم... وإنني أحبك.

* * *

الرسالة الحادية والعشرون:

أنت غائب عني بقصد أو بغير قصد...

لقد اشتدّ الوجع في قلبي، واشتدّ بي الألم بسبب غيابك...

لو لم تبتعد وتتركني وحيدة في رحلة لم أكن لأطيقها من دونك، ما كنت عدت إلى ذاتي لأبحث عن حقيقة روحي.

إنك غائب عني بجسدك، لكنك موصول بي بالروح رغماً عنك وعني.

ما بيننا أقوى من الحب، ما بيننا صلة روح أدركها أنا جيّداً وتدركها أنت جيداً، حتى لو أنكرتها وهربت منها.

أدرك انك وحيد وحزين مثلي تماماً، سواء اعترفت أم لم تعترف.

سوف تبحث عني في وجوه أخرى محاولاً لملمة أجزائي المبعثرة، لكنك لن تستطيع أن تجدني هناك.

لا أريد أن أعاتبك على كل هذا العذاب والألم الذي سببته لي، بل دعني أشكرك، فلولا ابتعادك لم أكن لأدرك حقيقة هذا الرابط الروحي بيننا الذي لم يفتر بالبعد والهجر والنبذ والغياب والسكوت.

أعلم أنك تتألم مثلي لأن قلبي قلبك، وقلبك قلبي، حتى لو اختلفت الوجوه.

أعترف أنني ذبت فيك ذوبان القطرة في المحيط، وكنت أظنك المحيط، لكنني اكتشفت أنني نصف قطرة وأنت نصفها الثاني...

لقد أحببتك كما لم ولن يحبك أحد، وغيابك عني جعلني أبحث عن حقيقة هذا الوجع وهذا الرابط الذي بيننا.

قلبي شفاف لا يكذب، ينبض فيّ كما ينبض فيك، ورغم أن هذا الحب مؤلم لكنه علمني درساً قاسياً، وأدركت أن علاقتي بك أكبر بكثير من أية علاقة حب عادية.

ممتنة لوجودك في حياتي، رغم كل الألم الذي سببته لي، حتى لو أنت صامت وغائب، أدرك جيداً أن الوجع الذي في قلبي هو في قلبك...

كنت أنتظر منك حباً بحب، ليس جرحاً بجرح ولا ألماً بألم.

حين استطعت أن أدخل إلى عوالمك الداخلية لامست جراحك، وأدركت أنك تغيب وتهرب ليس كرهاً بي، بل تعباً فيك. بروحك وبأعماقك وكان الأجدر فيك أن تزيل قناعك عن وجهك، ذلك القناع الذي أشعر بمساميره في وجهي أنا.

سأحضنك كل ليلة، وسأتمنى لك السلام والسعادة.

روحي موصولة بروحك، وأنا الوحيدة في الكون التي ستدرك وجعك...

سأنتظرك وأبقى أنتظرك لتعود إليّ بمحبة...

لقد كتب القدر لنا حكاية سنكملها معاً بكل صدق، وسنخطّ سطورها معاً، إذا لم يكن في هذا الجيل فربما في أجيال لاحقة، كما كنا معاً في أجيال سابقة.

سأنتظرك على الدوام وسأحبك على الدوام.

* * *

الرسالة الثانية والعشرون:

يا أنت... يا أنا..

روحي تهفو إليك بشوق كبير، وتعلم أنك نصفها الذي تمزّق عنها وراح يؤلمها..

تخيّل أن نؤلمك عينك، بينما يدك مكسورة ولا تستطيع لمس

عينك لتخفيف ألمها، كذلك بعدك عني... فروحي لم تعد قادرة على تخفيف آلام قلبي المتعب بك، والذي أصبح ضعيفاً جداً وكلّي يقين بأنّ الزمن لن يسعفني لأراك من جديد جسداً وروحاً، لكنّ روحينا ستلتقيان وتلتقيان في ملكوت الله وفي أجيال لاحقة..

نعم قلبي موصول بقلبك، وروحي موصولة بروحك...

فأنت النور الذي يملؤني ويجعلني سعيدة...

أحبك من كل قلبي مهما غبت...

كن بخير دائماً...

* * *

الرسالة الثالثة والعشرون:

سأخترع أبجدية جديدة لأعشقك فيها... فالحروف عاجزة عن الإحاطة بشغفي بك...

وسأخترع الدرجة الحادية عشرة للحب... لأن حبي لك، وشغفي بك يفوق كل درجات الحب...

سأخترع وقتاً أصغر من الثانية لأن الثواني تطول وتطول بانتظارك...

أيها الساكن في أعماقي:

ألا ليتك تعلم..

ليتك تعلم كيف تحتلّ خلايا جسدي...

كيف تحتلّ نبضات قلبي...

كيف تحتلّ شراييني و أوردتي...

كيف تحتلّ أنفاسي...

أصبحت فارغة من كلّ شيءٍ إلا منك...

أنت تملؤني... تملأ روحي... تملأ فكري... تملأ قصائدي...

أيها المحتلّني من الوريد إلى الوريد... ومن الشريان إلى الشريان

أيها الساكني... الآن ومنذ غابر الأزمان...

أيها المشعلني جمراً وجمراً بعد أن كنت رماداً...

أتوق إليك...

أتوق أن نتوحد معاً وتصهرني بين يديك...

أحبك منذ الأزل وإلى أبد الآبدين....

* * *

الرسالة الرابعة والعشرون والأخيرة:

ها هي جثتي مسجاة على طاولة الموتى... الجميع حولي يبكون... منهم من يبكي عليّ، ومنهم من يتذكر عزيزاً رحل فيبكي عليه... الأكثر حزناً على موتي هم أسرتي.. ابني ابنتي أمي إخوتي أصدقائي وصديقاتي المقربات...

كنت أحاول أن أقول لهم: توقفوا عن البكاء فروحي في السماء سترتاح أكثر من الأرض... سوف أبقى معكم وأزوركم ما استطعت...

كان بكاؤهم يحزنني ولكن لا حيلة لي، فقد انتهت رسالتي على الأرض بعد أن نالت ما يكفيها من التعب والألم.

ولكنني كنت أبحث عنك بين الوجوه المشيعة.. كنتَ تبكي من بعيد... لم تستطع الوصول إلى جثتي لإلقاء نظرة الوداع الأخير...

لم تستطع أن تقول شهادتك بي، فأنت أجبن من أن تعلن للملأ عن معرفتك بي ولن أقول حبك لي وشغفك فيّ...

كنت تبكي بصمت نادماً على كلّ لحظة خذلتني فيها...

نظرتَ إلى التابوت الذي يحمل جسدي الصغير وقلت لي وداعاً..

لم تذهب مع المشيعين إلى موقف الرجال حيث سيصلون على جثماني الصلاة الأخيرة... جلستَ خلف مقود سيارتك ولأول مرّة غير مكترثٍ لرائحة عطرك... وشعرك الممشط بعناية ولحيتك المشذبة ببهاء...

نظرت إلى الكرسي الفارغ بجانبك... قلت لي سأنتظرك هناك عند محطة القطار حيث اعتدتِ انتظاري... هذه المرّة أنا سأنتظركِ (وكأنك تقوم بإنجاز مهم).

قدت سيارتك إلى المحطة وانتظرتَ موكب الجنازة بينما كنت تكفكف دموعك... وحين وصلت سيارة الموتى إلى جانبك ترجلتَ من السيارة... قلت لي وداعاً يا حبيبتي... وآسف على كلّ الجروح التي أدمت قلبكِ بسببي...

همست روحي في أذنك: ما زلت جباناً...

تبعتَ الموكب إلى المقبرة حيث مقامي الأخير...

نظرت إليهم من بعيد وهم يخرجون جسدي المكفّن بالأبيض... قلتَ لي: الكفن أبيض كقلبكِ.. هذه المرة لن أنتظرها منك لتقولي لي: الثلج أبيض كقلبكَ... حين كنا معا في "ضوء القمر".. هل تراك تذكرين؟

تمنيت أن أصرخ في أذنك: هناك أسكنتك قلبي... هناك وعدتني أن تكون فرحي... ولكنك كنت جحيمي الذي لا يطاق...

كانت روحي تعانق كلّ من تحب قبل أن تصعد إلى السماء، وكنت آخر من أودّ عناقه... سقطت دمعة روحي على خدّك عند موضع القبلة التي طالما تمنيتها...

قلت لك وداعاً... سأنتظرك في السماء هذه المرة كما انتظرتك منذ زمان غابر... حين رحلتُ قبلك بثمانية أعوام حتى عدت إليّ...

سأنتظرك أنا ولكن ليس كما انتظرتني روحك السابقة وأعادتني إلى الأرض حين خرجت روحي بغتة...

سأنتظرك دون ألم ودون ملل كما اعتدتَ أن تتركني على ناصية الانتظار..

جسدي باردٌ في أعماق الحفرة... التراب يغمرني من كل مكان.. من التراب إلى التراب يعود الجسد... لكن الروح تسمو...

لم يقرأ أحد اسمك المحفور على جدار القلب الذي ملأته ندوباً لم يستطع أحدٌ غيرك رتقها.. وتركتها مشروخة دون رتق...

أم هل ترى سأجدك هناك في السماء شيخاً جليلاً كما عرفتك منذ أجيال خلت... باسم غير اسمك هذا.. (أمين هكذا كان اسمك) وهكذا أنت وستبقى رجلاً أميناً.

لن أكترث للأسماء فروحك توءمي مهما تعددت الأسماء..

سأحبك في كلّ الأجيال وأنتظرك في كل الأجيال لأنك مني وأنا منك... لأنني لا أكتمل إلا بك... فأنا وأنت ذرة نور من روح

الله لن نكتمل إلا معاً وهي إرادة الله وليست إرادتنا..
فأنت شئت أم أبيت أجمل خفايا الروح...
وداعاً...

تمت

ربما نلتقي في حيوات أخرى
ربما نلتقي في روايات أخرى
دمتم بخير مع محبتي

عبير

الفهرس

فنجان القهوة الأوّل 11

فنجان القهوة الثاني 12

فنجان القهوة الثالث 15

فنجان القهوة الرابع 18

فنجان القهوة الخامس 21

فنجان القهوة السادس 26

فنجان القهوة السابع 28

فنجان القهوة الثامن 31

فنجان القهوة التاسع 33

فنجان القهوة العاشر 35

فنجان القهوة الحادي عشر 47

فنجان القهوة الأخير 52